

المؤسسة العامة للسينما
NATIONAL FILM ORGANIZATION

السيناريو الأدبي
لفيلم الرسوم المتحركة

خيط الحياة

ديانا فارس

الفن السابع 235

السيناريو الأدبي

لفيلم الرسوم المتحركة

« خيط الحياة »

235 الفن السابع

السيناريو الأدبي

لفيلم الرسوم المتحركة

« خيط الحياة »

سيناريو وحوار: ديانا فارس

منشورات وزارة الثقافة - المؤسسة العامة للسينما

في الجمهورية العربية السورية - دمشق ٢٠١٣م

السيناريو الأدبي لفيلم الرسوم المتحركة «خيط الحياة» / سيناريو وحوار ديانا فارس .- دمشق: المؤسسة العامة للسينما ، ٢٠١٣م .- ١٣٦ ص؛ ٢٤ سم.

(الفن السابع ؛ ٢٣٥)

١- ٧٩١,٤٣ ف ا ر س ٢- العنوان ٣- فارس
٤- السلسلة

مكتبة الأسد

الإهداء

إلى روحي التي ولدت منها، مربيتي التي أهدتني الخيط السحري، حين كانت تطوف بي من باب شرقي إلى باب توما لتتزهر أعوام طفولتي الأولى.

إلى مؤسس سينما أفلام الرسوم المتحركة وداعم الحركة السينمائية في سورية الأستاذ القدير الناقد محمد الأحمد المدير العام للمؤسسة العامة للسينما من بين كفيه ولد فيلم «خيط الحياة».

إلى أصدقائي... وكل من ساهم في صناعة وإنتاج هذا الفيلم.

إلى أطفال سورية الحبيبة .

أفلام الرسوم المتحركة

صناعة الخيال

من التجربة و الإبداع إلى ثورة الإنتاج

تُعدّ صناعة الرسوم المتحركة اليوم من الضرورات الملحة التي فرضها تنوع الإنتاج المرئي من البرامج والدراما والأغاني المصورة إذ أنها من أكثر الإنتاجات المطلوبة والمتابعة والمربحة مادياً كما الأسرع ترويجاً ضمن سوق الإعلام، وقد نشأت هذه التجربة من الغرب حيث ظهرت في مطلع القرن العشرين تجارب مختلفة مثل تحريك الرسم على الورق أو استخدام الخدع في تحريك الدمى وقطع الكرتون أو صنع مجسمات من مادة الصلصال وتصويرها مع تحريك الصورة بطرق سينمائية خاصة إلى أن تطورت في العقد الأخير وتم استخدامها ضمن تقنية الحاسوب، فظهرت برامج خاصة بها ما ساهم في إحداث تغييرات مذهلة بعالم الكرتون والتصاميم الخاصة بالشخصيات المبتدعة.

البدايات :

اشتملت الأشكال الأولى لدمى التحريك على لعب متحركة، تم تطويرها في القرن التاسع عشر الميلادي عن طريق جهاز يسمى (الديداليوم) الذي

اخترعـه (**وليم جورج هورنز**) عام ١٨٣٤ م وعرف الجهاز بعدها باسم عجلة الحياة وهو عبارة عن مركب اسطواني الشكل يُطوى عليه شريط ورقي ممتلئ برسوم متحركة وعندما يدار الجسم الاسطواني ينظر المشاهد من فتحات تعلو سطحه فتبدو له الرسوم وكأنها تتحرك، وقد ساهم هذا الاختراع في التمهيد لاختراع فن الرسوم المتحركة.

ثم بدأت بعض المحاولات المبكرة للرسوم المتحركة على يد البريطاني **أرثر ملبورن كوبر** وهو من أوائل الذين قاموا بإنجاز أفلام الرسوم المتحركة إذ قام عام ١٨٩٩ م بتصوير سلسلة من تشكيلات أعواد الكبريت على إطارات منفصلة من شريط فيلمي على سبيل الدعاية لإحدى السلع، كما أصبح الرسام الصحفي الأمريكي **جيمس ستيوارت** أول من قام بتصوير الرسوم في إطارات فيلمية متصلة عام ١٩٠٦ م وإعداد شريطه المسمى (**الجوانب الفكاهية في الوجوه المضحكة**) من تصوير رسومات بالطباشير على السبورة على مراحل متعددة.

لكن يعود اختراع فن أفلام الكرتون إلى الفرنسي (**إميل كول**) الذي صنع جهازاً للعرض يمكن من خلاله تمرير ١٢ صورة بهدف تحريكها، وكان ذلك في ٢٨ أكتوبر عام ١٨٩٨ م لكن نتائج تلك المحاولة كانت عملاً سينمائياً بسيطاً وصامتاً في الوقت نفسه، حيث ابتدع رسومات متحركة تعتمد على حيلة الكاميرا إلى أن جاء الرسام الأمريكي (**وينسور ماكيه**) الذي يعد الأب الحقيقي لأفلام الكرتون، ونقل فن الرسوم نقلة نوعية حيث أدخل إليها شخصيات حقيقية مثل شخصية الديناصور (**غيرتي**) باعتبارها أول شخصية من الحيوانات يتم تحريكها سينمائياً في أول أفلام الكرتون التي عرفها العالم وقد سمي الفيلم (**الديناصور غيرتي**) إنتاج عام ١٩١٤ م، وكان وينسور ماكيه قد أنتج فيلمه بمفرده وبمدة زمنية كبيرة ما تطلب منه

جهداً ووقتاً كبيرين، وبعدها عرض فيلمه المسمى (**نيمو الصغير**) بمدينة نيويورك، وهكذا نجح ماكيه في إنتاج أفلام عالية الجودة بشخصيات تميزت بمرونة الحركة وخصائص سلوكية واضحة، ما أسهم في ابتداع الأساليب التقنية ومؤثرات الإقناع الحسي التي قامت عليها معايير الجودة التشخيصية لأفلام الرسوم المتحركة، وأصبحت أعماله ذات تأثير على إنتاج أفلام الرسوم المتحركة بسبب شهرتها بانسيابية الحركة والجودة العالية لمستوى الرسومات إضافة للحس المرهف بالكتلة وتشكيلها ضمن الكادر السينمائي وبأحجام منطقية.

وفي هذه الأثناء قام فنان الرسوم المتحركة الأمريكي **جون راندولف بريي** بإدخال أنظمة التنسيق الانسيابي على عمليات تحضير الرسوم المتحركة. وأضحت معامل التصوير بفضل هذه الترتيبات تعمل تحت آلية الإنتاج السريع ما أدى إلى سرعة الانجاز، وانخفاض تكاليف إنتاج الرسوم المتحركة.

وانضم جون راندولف بريي فيما بعد إلى فنان الرسوم المتحركة الأمريكي آيرل هيرد مخترع أسلوب لوحات السيلولوز ليعملا معاً في مجال الإنتاج، وقد أحدث اتحادهما طفرة كبيرة في المجالات التقنية للرسوم المتحركة.

وبحلول عام ١٩١٥ م بدأت معامل تصوير السينما الأمريكية في إنتاج العديد من المجموعات المسلسلة لأفلام الرسوم المتحركة، مسندة بطولة كل سلسلة إلى شخصية من الشخصيات المألوفة مثل شخصية **كوكو البهلوان، وبيتي بوب والبحار بوب آي**، وسلسلة أفلام **القط فيليكس**، واشتهرت أيضاً شخصية **هيرزا اليار، وكريزي كات** ضمن ما اشتهر من شخصيات الرسوم الهزلية حتى إن بعضها ظهر في صفحات الجرائد والمجلات.

وفي الوقت الذي اهتم فيه فنانو الرسوم المتحركة الأمريكيون بالجوانب التشخيصية للرسوم المتحركة التفت غيرهم إلى الاهتمام بتحديث الجوانب

التقنية وتحسينها في البلاد الأخرى، إذ قام فنان روسي يدعى **لاديسلاس استاريفيتش** باستخدام الدمى المتحركة في العشرينيات من القرن العشرين الميلادي، وقام الألماني **لوت رينيغر** باستعمال الأشكال المسلوتة أي السوداء على خلفية مضاءة في أفلامه القصيرة. كما قام بعض الفنانين الأوربيين باستخدام الأشكال التجريدية في أفلامهم بغرض التجريب، كالألماني **فولتر روتمان** والرسام **أوسكار فيشينغر**، وهما رسامان ومنتجا أفلام سينمائية. وقد قاما بإنتاج أفلام قصيرة للرسوم المتحركة اعتمدت على التجريدات الهندسية. وفي أوائل الثلاثينيات من القرن العشرين الميلادي، قام كل من الفنان الروسي **ألكسندر أليكسييف** والفنانة الأمريكية **كلير باركر** بتطوير التحريك بأسلوب التدبيس بفرنسا.

ثم ظهر **والت ديزني (هانز داون)** عام ١٩٢٨، وأمسى من أكثر منتجي أفلام الكرتون شهرة حيث يعود إليه الفضل في ابتكار أشهر شخصيات أفلام الكرتون كشخصية ميكي ماوس ودونالد وغوفي وبلوتو، وقد كرس جهوده بين عامي ١٩٢٨م و١٩٣٨م في تطوير الجوانب التشخيصية التي تركت أثراً واضحاً على السرد القصصي والتصميم والتنظير الفني في كل مجالات الإنتاج السينمائي لأفلام الرسوم المتحركة، كما استفاد من علم التشريح الذي جعل حركة الحيوانات تبدو طبيعية وابتعد عن الحركة المطاطية التي كانت سائدة آنذاك، كما قام ديزني بإنتاج سلسلة من أفلام الكرتون تحت اسم (**السمفونيات البلهاء**) وقد أقدم على إنتاج الفيلم الشهير **الثلج الأبيض والأقزام السبعة** وكان أول أفلام الكرتون الطويلة، وأكثرها شعبية وانتشاراً في تاريخ سينما الأطفال.

بعد شهرة والت ديزني ظهرت عدة إنتاجات في مجال الرسوم المتحركة إذ أقدم كل من **وليم حنا وجوزيف باربيرا** من شركة مترو جولدن ماير

على إنتاج سلسلة من أفلام الرسوم المتحركة القصيرة من بطولة الثنائي **توم وجيري**، كما أنتج الفنان **وولتر لانتر** من شركة يونيفرسال أفلاماً قصيرة من بطولة **الأرنب أوزوولد**، وقام لانتز فيما بعد بتقديم الطائر **وودي وودبيكر**، كما أسندت شركة وارنرز إخوان إلى كل من **تكس إفري**، **وتشك جونز**، **وفريتز فريلنج** مهمة إخراج أفلام رسوم متحركة قصيرة بطولة **بغز بني**، **ودافي دك (البطة دافي) وبوركي بج**، وفيها ابتعد المنتجون عن واقعية ديزني، وصارت الشخصيات تتصرف بشكل غير منطقي كمد العنق إلى ما لانهاية مثلاً.

ونذكر أيضاً **نورمان ماكلارين** الذي أنجز خلال هذه الفترة أفلاماً للرسوم المتحركة نالت قدراً من الاستحسان، للهيئة القومية للسينما بكندا وقد ذاع صيت ماكلارين آنذاك لأسلوبه في التلوين المباشر على لوحات الرسوم المتحركة. وشملت أعماله في هذا المجال أفلام **فيدل ددي** عام ١٩٤٧ م وفيلم **فلتذهب الهموم** ١٩٤٩ م وفيلم **الجيران** ١٩٥٢ م وهو من أفلام التحريك بنقاط الاضاءة الالكترونية.

وفي أوائل الأربعينيات من القرن العشرين الميلادي انفصل لفيف من فناني الرسوم المتحركة عن معامل تصوير ديزني وكونوا تجمعا يسمى **اتحاد أصحاب الإنتاج الأمريكي** وكانوا يرفضون أسلوب الواقعية الطبيعية لوالت ديزني، ويفضلون تركيز اللمسات القوية، والمسطحات اللونية الصريحة السائدة في الاتجاهات التشكيلية الحديثة. وقد تبين انخفاض تكاليف الإنتاج عند العمل بهذا الأسلوب الجديد مقارنة بأساليب ديزني الإنتاجية. ومن ثم انعكس تأثيره على الأداء في معامل تصوير الرسوم المتحركة بجميع أنحاء العالم. كما أدى انخفاض تكاليف الإنتاج إلى نجاح الإنتاج التلفزيوني من الرسوم المتحركة لبرامج الأطفال.

وانفصلت فيما بعد مجموعة من فناني الرسوم المتحركة عن الاتحاد الأمريكي ليكونوا شركاتهم الخاصة، وكان من بينهم **جون هبلي** صاحب الموهبة المتميزة، **وزوجته فيث**، اللذان قاما بتنفيذ أعمال وسعت المحتوى الدرامي وأساليب التشخيص في أفلام الرسوم المتحركة من أشهرها **طائر القمر** ١٩٥٩ م، **يوم عاصف** ١٩٦٧ م **كوكاودي** ١٩٧٣ م.

وفي منتصف الخمسينيات من القرن العشرين الميلادي بدأت التجارب لتنفيذ الرسوم المتحركة بالحاسوب الرقمي مع بداية انتشاره. ومنذ منتصف السبعينيات من القرن العشرين الميلادي ازداد الاعتماد على الحاسوب في تنفيذ أفلام الرسوم المتحركة الطويلة وإعلانات التلفزيون.

إلا أن أعمال الرسوم المتحركة استعادت مكانتها بقوة خلال الثمانينيات من القرن العشرين الميلادي إذ أعلن قسم الرسوم المتحركة بمعامل تصوير والت ديزني عن خطته لإنتاج فيلم طويل كل عام. وكان نشاطه الإنتاجي قد تدهور منذ وفاة والت ديزني ١٩٦٦ م. وقد قام المخرج السينمائي **ستيفن سبيلبيرج** بعرض فيلمه الأول للرسوم المتحركة **أمركان تيل** ١٩٨٦ م كما تعاون مع استديوهات والت ديزني في تنفيذ فيلم **من قام بتوريط الأرنب روجر** ١٩٨٨ م وقد نجح هذا الفيلم في المزج ما بين مغامرات الأفلام الروائية والرسوم المتحركة.

وهكذا تتابع إنتاج أفلام الرسوم المتحركة في جميع أنحاء العالم وازداد عدد الفنانين الذين اختصوا في هذا المجال كما تنوعت البرامج التقنية المستخدمة في صناعتها مع تطور الحاسوب وتنوع طرق التنفيذ فيه فاشتهرت عدة بلدان بتصنيع الرسوم المتحركة مثل كوريا الجنوبية والهند واليابان والمجر ويوغسلافيا وكولومبيا ومصر وإيران ولبنان وحتى سوريا التي بدأت دخول تلك الصناعة منذ سنوات قليلة.

الخطوات المتبعة عالمياً لإنتاج فيلم الكرتون:

يعد فن الرسوم المتحركة وأفلام الكرتون من أصعب الفنون على الإطلاق من حيث التنفيذ على مستوى العالم، لذلك فإنه يتم رصد مدة زمنية طويلة وميزانيات ضخمة لإنتاج فيلم كرتون نظراً لصعوبة التنفيذ حيث يحتاج إلى الإبداع الجماعي من قبل جيش من الفنانين والكوادر الفنية المدربة والبرامج المتعددة من أجل القيام بجميع عمليات التحريك في الفيلم، وعادة يبدأ العمل بالخطوات التالية:

المرحلة الأولى:

إيجاد الفكرة التي لا بد أن تكون طريفة وجديدة ولا يمكن تنفيذها بالتصوير الطبيعي، وتتم كتابة القصة ثم السيناريو والحوار ثم تحضير ما يطلق عليه لوحة القصة أو (**ستوري بورد**) وهي عبارة عن لوحات ثابتة مرسومة تعبر عن أهم الأحداث في القصة، وتعرض تصميماً للمشاهد الكرتونية بأحجامها المعدة للتصوير من أجل توضيح علاقة الشخصيات الكرتونية بديكور المشهد.

المرحلة الثانية:

عملية التحريك الرئيسية والتحريك المساعد ويقوم بها كادر كبير من الفنانين حيث يتطلب تنفيذ الثانية الواحدة اثني عشر رسماً متتابعاً في الحركة (١٢ فريم)، كما يرسم الفنانون تعابير حركة الشفاه المختلفة مع التسجيل الدرامي الصوتي للشخصيات، ثم تأتي الخطوة الهامة وهي إجراء اختبارات لما قد تم تحريكه عن طريق وحدات تصوير متخصصة.

المرحلة الثالثة:

ينقل الفيلم إلى قسم التحبير حيث يتم نقل جميع الرسومات التي تم تحريكها إلى ورق أبيض (كوسي) عن طريق أقلام خاصة بالتحبير.

المرحلة الرابعة:

ينقل العمل إلى قسم الكومبيوتر، ويتم إدخال آلاف الرسوم عبر أجهزة السكنر ثم تلوين مئات المشاهد ومعالجتها حتى يتم إعدادها بالشكل النهائي.

المرحلة الخامسة:

يقوم المخرج بإجراء عملية المونتاج على الصورة بعد أن يكون قد أنهى مرحلة تسجيل أصوات الممثلين وتكليف الملحن بإعداد الموسيقى التصويرية والمؤثرات الصوتية ليبدأ بإنهاء المرحلة التقنية الأخيرة من الفيلم وهي المكساج ومن ثم يجمع أصوات الممثلين والموسيقى والمؤثرات ويطبعها على الشريط النهائي في حال تم التخريج على شريط السينما أو النقل إلى شريط ديجيتال بيتاكام في حال تم التخريج على شريط عرض تلفزيوني.

أنواع الرسوم المتحركة:

أولاً - التحريك بالدمى:

ويعتمد على استعمال مجسمات ذات ثلاثة أبعاد للشخصيات والأشياء، ويكثر استعماله في إنتاج الأفلام القصيرة. كما يستخدم في إنتاج أفلام المغامرات الطويلة كفيلم (حرب النجوم ١٩٧٧ م) وفيلم (قاتل التنين ١٩٨١م) وفيلم مخلوق من خارج الأرض - إي تي - ١٩٨٢ م)، وثمة نوعان من أساليب التصوير يعرفان باسمي تقطيع الحركة، وتطبيع الحركة، إذ يعتمد الأسلوب الأول على آلة التصوير التي يجري تعديلها حتى تسجل لقطات متباعدة زمنياً تمكن الفنيين من إجراء تعديلات طفيفة على مجسمات الشخصيات والأشياء بين لقطة وأخرى، وعندما يدور الفيلم سريعاً في آلة العرض تظهر المجسمات وهي تتحرك، أما أسلوب تطبيع الحركة فإنه يكسب حركة المرئيات تحسينات

تجعلها تبدو أكثر واقعية، إذ يلجأ الفنيون إلى الاستعانة بآليات خاصة تقوم بتحريك آلات التصوير والمجسمات أثناء التصوير فيتسبب ذلك في كسر حدة حواف المجسمات المتحركة فتبدو حيوية ومقنعة أكثر.

ثانياً - التحريك بنماذج الصلصال:

وهو أحد أساليب إنتاج الدمى المتحركة يتم فيه إعداد النماذج من مادة الصلصال، وعادة يكثر استخدام هذا النوع من التحريك في إعلانات التلفزيون وأفلام الدمى المتحركة القصيرة.

ثالثاً - التحريك بنقاط الضوء الالكتروني:

وهو أحد أساليب التظهير الفيلمي بحيث يبدو الأداء الحي للممثلين وكأنه ضرب من الرسوم المتحركة، وفيه يعدل الممثلون حركتهم تعديلاً طفيفاً كلما توقفت آلة التصوير ما يضفي مظهراً آلياً على الجسم الإنساني.

رابعاً - التحريك بالتدبيس:

وهي عملية تستخدم فيها لوحة بيضاء كبيرة فيها ما يزيد على مليون ثقب صغير يقوم فنيو التحريك بملئها بدبابيس بلا رؤوس. وبعد ذلك يسلطون عليها إضاءة جانبية ترمي ظلالاً تتكون منها أشكالُ ورسومات متحركة، ثم يقوم الفنيون بتغيير الدبابيس وتبديلها كلما أرادوا تغيير هذه الأشكال.

خامساً - التحريك بالحاسوب:

يستخدم فيه الكومبيوتر للتلوين والتظليل وتحريك الأشكال والشخصيات والخلفيات التي يرسمها الفنانون، وهي طريقة أسرع من طريقة الرسم باليد وأكثر دقة في إبراز التفاصيل، ولذلك شاع استخدامها في الأفلام الروائية والبرامج التعليمية، ويمكن للرسامين الاستعانة في بعض مراحل التجهيز بطريقة الرسم على لوحات السيلولوز الشفافة.

لكن السؤال، **هل تختفي السينما التقليدية مع دخول هذا النوع الرائع والمذهل من الفن السينمائي الخيالي؟ وهل يمكن خلق ممثلين وممثلات افتراضيين وعوالم ومدن ومواقع مختلفة بعيدة عن الحقيقة؟ وهل يمكن استبدال فرقة موسيقية كاملة من خمسين شخصاً أو أكثر بعازف واحد يمكن تكراره أو نسخه بملامح جديدة وملابس مختلفة بواسطة كبسة زر ؟**

لقد بات من الواضح أن عالم الكرتون قد أثبت مجاراته للتطور التقني والمرئي، وأثبت منافسته في سوق الإنتاج والتوزيع مع بقية الفنون المرئية الأخرى.

السيناريو الأدبي لفيلم الرسوم المتحركة

«خيط الحياة»

أول إنتاجات المؤسسة العامة للسينما

بالمشاركة مع شركة تايغر برودكشن

دمشق - سورية

٢٠٠٧

لمحة عن الفيلم

الحياة والموت معجزتان.. يفصل بينهما الزمن الذي يمضي كقطار لايتوقف.. وقوده انقضاء عمر الإنسان، وآليته كل غد يأتي لا بد أن يصبح أمسى مضى لن يتكرر أو يعوض عنه وإنما قد يشبه يوماً غيره، ربما علينا تجاوزه لنسبق الوقت.

إشكالية فلسفية لها خصوصية في نمط تفكير طفل صغير تدور أحداث الفيلم حول وقفات مختلفة من حياته، إذ يتمنى أن يكبر سريعاً كي يتجاوز التجربة ويحصل على أمنياته ويحقق طموحاته ويخرج من كل مأزق يواجهه، وبحكم الظروف الضاغطة والمحيطة به ينشط خياله وتأخذه أحلامه إلى عوالم افتراضية كان يشتهيها من خلال انعزاله مع عالم حيواناته الأليفة التي يعيش معها، فتجود مخيلته بافتراض وجود عجوز تمتلك حلاً للزمن فيمضي إليها برحلة مليئة بالمغامرة والتشويق عبر سرداب طويل يرمز إلى سراديب الحياة المتنوعة المضيئة، والمظلمة، الحلوة، والمخيفة، حتى يصل إلى الكنز الذي تهبه إياه تلك العجوز في صندوق صغير يحوي سنين عمره المديد التي يتجاوزها بعدة سحبات لخيط حياته، فيمضي به الزمن برتم سريع ويكسبه أحداثاً مختلفة بلمحة عين، لكنه مقابل هذا يجد نفسه مضطراً لأن يعيش ما هو مؤلم فيها وأن يسر بما هو ممتع منها وينتقل من حدث لآخر بشكل مفاجئ ودون مقدمات حتى يصل به المطاف لنهايته فيكتشف بأن ذاكرته لم تكن دقيقة بما يكفي ليحتفظ بمخزون ما حدث معه منذ حصل على خيط حياته وحتى آخر أيامه التي تسبق موته، وهنا يقرر إعادة الصندوق إلى عجوز الزمن والاستغناء عنه، فتلبي العجوز رغبته وتعيده إلى لحظة قرر دخول السرداب أمام أصدقائه الحيوانات، وهي في حقيقة الأمر ليست إلا عودته من الحلم الافتراضي إلى الواقع الحقيقي، حيث تنتهي لعبة الخيال لديه ويفكر في أن يعيش واقعاً مليئاً بالاجتهاد والعمل كما تفرض الحياة الطبيعية على الإنسان.

معلومات عن فيلم خيط الحياة

نوع الفيلم: كرتون روائي طويل

من الفكرة مقتبسة من قصة قصيرة بعنوان الخيط السحري من الأدب الشعبي العالمي

مدة الفيلم ٨٣ دقيقة

التنفيذ تودي وثري دي ماكس

إنتاج مشترك بين المؤسسة العامة للسينما وشركة تايغر برودكشن

الإشراف العام الأستاذ محمد الأحمد

المنتج الفني مناع حجازي

الإخراج رزام حجازي

تأليف السيناريو والحوار والتعاون الفني ديانا فارس

المستشار الدرامي سمير ذكرى

مدير الإنتاج يوسف دك الباب

تصميم الشخصيات بسام الإمام – محمد تكروري - كريم قبراوي

تصميم أفيش الفيلم بسام الإمام

تصميم الخلفيات أشرف الأسدي – نورس نهار

الموسيقى التصويرية والأغاني سيمون أبو عسلي

كلمات الأغاني طارق عربي طرقان – د. أحمد نتوف – قحطان بيرقدار

مونتاج بسام حسوني – اسكندر معصب

المشرف على العمليات الفنية وليد حريب

رحلة الفيلم الفنية

- حاز الجائزة الذهبية للأعمال العربية وجائزة لجنة التحكيم الخاصة الدولية في مهرجان القاهرة السينمائي السابع عشر لسينما الأطفال.
- كما حاز جائزة الإبداع الذهبية لأفضل سيناريو وأفضل إخراج في مهرجان القاهرة للإعلام العربي الثالث عشر ٢٠٠٧.
- وشارك في مهرجان سيسيلي في ميامي بالولايات المتحدة الأمريكية وحاز شهادة تقديرية لمخرجة الفيلم.
- وشارك في المسابقة الرسمية لمهرجان لندن السينمائي الدولي.
- وتم عرضه وحتى الآن في جميع المراكز الثقافية وصالات الكندي في سورية.

وزارة الثقافة

المؤسسة العامة للسينما

وشركة تايغر برودكشن

تقدمان

فيلم الأطفال الروائي

خيط الحياة

(عن قصة الخيط السحري)

الإشراف العام

محمد الأحمر

تأليف السيناريو والحوار

والتعاون الفني

ديانا فارس

الإخراج

رزام حجازي

البداية

من سواد... صوت دندنة امرأة (أم علاء في العشرين)... نرى إبرة وخيطاً يطرزان عنوان الفيلم **خيط الحياة**... نصل إلى حرف الـ«ح» من كلمة (الحياة) فتظهر يد أم علاء... وتتضح معالمها مع حرف التاء المربوطة «ة»... ومع سحبة الخيط وانتهاء الكتابة يتلاشى السواد تماماَ ليظهر طائر اسمه الباز يحلق في السماء...

تتحول الدندنة إلى عزف أوركسترا...

نبقى مع طيران الباز الذي يحلق فوق جبال وسهولٍ وغابات من سورية، ويأخذنا إلى قرية تناثرت بيوتها حول جبل بشكل عشوائي... تزداد كثافة البيوت كلما اتجهنا نحو الأسفل حتى تتصل بمدينة صغيرة بجوار القرية... ينحدر الباز نحو طريق جبلية تمتد لتنتهي بساحة جامع القرية الذي ألحقت به زاوية خصصت لتعليم أطفال القرية تكون أشبه بمدرسة بدائية تسمى دار الكتاب... الباز يلاحق طفلاً (في الثامنة من عمره يدعى علاء) كان يركض وخلفه يحلق طائر صغير (يدعى سمسم أو سمسوم) محاولاً اللحاق به.

نعود إلى أم علاء تنهي عقدة في تطريز الرسمة، تغز الإبرةُ إصبعَها فتصرخ من شدة الألم...

ترافق صرخة أم علاء صرخة سمسم الخائف من ظهور الباز... يختبئ داخل ثوب علاء بسرعة بينما ينظر الصبي للباز بإعجاب وذهول... يبادل الباز علاء نظرات نفهم من خلالها أنه يألفه... يعود بعدها الطائر الجارح

للارتفاع عالياً مبتعداً عنهما حتى يغيب في قرص الشمس المتوهج...مازال علاء يتابعه بإعجاب وفجأة... يقطع شروده صوت نور صديقته (طفلة في الثامنة من العمر).

نور : علاء !..... علاء !!.

يلتفت علاء إلى مصدر الصوت فيجد نوراً واقفة في الساحة وخلفها المصطبة المتصلة بالجامع. وتحت مظلتها جلس مجموعة من الصبية والبنات وقد تناثرت أحذيتهم على عتبتها.

نور : أسرع.. الشيخ جابر قادم.

يهم علاء بالجري نحوها، فيشعر بوخز في رقبته، تنقبض ملامحه ويحاول إخراج سمسم الذي تشبث بياقته من الداخل، يمسك به ويسحبه بحركة سريعة...

علاء : اخرج.... لقد ذهب.. لا داعي لكل هذا الخوف.

يفلت سمسم من قبضة علاء، ينظر إلى الأعلى وفي كل الاتجاهات، وعندما يطمئن لذهاب الباز يخرج وينتصب وقد نفش ريشه...

سمسم : أنا لا أخافه... لكن.. الحذر واجب....

يبتسم علاء ابتسامة ساخرة ثم يبتعد تاركاً سمسم يطير ثم يحط على غصن شجرة ويثرثر:

سمسم : ثم إنني... لا أحب معاملة طيور الغابة.... فهي... فهي لا تحسن التعامل بلياقة.

وهنا تقف ذبابة على الغصن القريب منه، تنظر إليه بلؤم بعد أن سمعت ثرثرته، فيشعر بالحرج..

سمسم : أنا لا أقصد حضرتكم، فأنتم لستم طيوراً على ما أعتقد !!

تفرد الذبابة جناحيها كالطاووس... تنظر إليه بازدراء ثم تطير...

الذبابة: هه !

يستغرب سمسم ردة فعلها.

نعود إلى نور وهي تخلع حذاءها وترميه بطريقة عشوائية، فتقع واحدة من فردتيه فوق حذاء الفتاة المرتبة، فتنزعج و تنهض وتسحب حذاءها بعيداً عن أحذية الجميع.

تعود نور وتلفت رأسها لتنادي علاء مجدداً حتى يصل أسرع.

نور : علاء !!.. هيا.

تقرص الطفلة ذات الابتسامة الواسعة نور من قدمها كي تنتبه لقدوم الشيخ جابر، وتهمس لها:

الطفلة ذات الابتسامة الواسعة : الشيخ جابر !!.

يظهر الشيخ جابر (٦٥ عاماَ) فيسكن الأطفال ويسود الصمت

الشيخ جابر : السلام عليكم.

يرد الأولاد ويكون علاء قد وصل واتخذ مكانه إلى جانب نور.

الأولاد : وعليكم السلام ورحمة الله و بركاته... أهلاً شيخنا

يجلس الشيخ خلف المسند الخشبي الذي يوجد عليه مجلد سميك... ويضع عكازه بجانبه...

يفرد ورقة بردي ويبدأ بالقراءة...

الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم..

(أثناء قراءة الشيخ يحط سمسم على غصن قريب ليلاحق دودة صغيرة... حيث الأطفال يصغون إلى الشيخ... أثناء هبوط سمسم

ينظر إليه عبيدة متوعداً، فينتبه الشيخ لذلك)... **يقول الله تعالى «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان»... صدق الله العظيم...** (ينهي الشيخ جابر جملته ويوجه سؤالاً لعبيدة)... **ما معنى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان يا عبيدة ؟؟**

يرتبك الصبي...

فيسأله الشيخ بغضب

الشيخ : ما بك لا تجيب ؟

يزداد ارتباك عبيدة....

عبيدة : إنه.. إن الإثم والعدوان فعلان سيئان يجب أن لا يتعاونوا عليهما..

وشوشات وهمسات تصدر من الأطفال.

الشيخ (غاضباً) **: من هم ؟؟**

عبيدة : أممم.... هم الأشرار يا شيخي.

سمسم يفتعل حركة ازدراء بوجهه تعبر عن احتقاره لغباء عبيدة.

الشيخ : هذا يعني أن الأخيار يجب أن يتعاونوا على الإثم والعدوان... ؟!!

يعود الشيخ إلى هدوئه من جديد ويلتفت ليسأل الجميع.

الشيخ : همم، من منكم يجيب على هذا السؤال البسيط ؟!!!.

الأولاد : أنا يا شيخي... أنا شيخي.... شيخي أنا....

طفل مجتهد اسمه بدران يجلس في الصف الأول يمط عنقه ويرفع يده حتى تكاد تصل إلى وجه الشيخ جابر فينزل له يده بعصبية وبطريقة كوميدية...

الشيخ : حسناً... أجب خلصني ؟.

بدران المجتهد: أي إن على جميع الناس أشراراً كانوا أم أخيار أن لا يتعاونوا على الإثم والعدوان لأن في ذلك ضرراً لهم ولغيرهم.

الشيخ : أحسنت يا بدران.

ينظر الشيخ إلى علاء.

الشيخ : علاء، أريد منك مثالاً في التعاون على البر والتقوى...

علاء : يعني مثلاً الدجاجة تقضي كل وقتها في تعليم صغارها فيكبرون بسرعة عجيبة ثم تتركهم أحراراً ليكونوا مسؤولين عن تصرفاتهم.

الشيخ (مستغرباً) **: وما علاقة ذلك بالتعاون ؟!**

علاء : أقصد أن الدجاجة تبذل كل ما بوسعها لتعلم صغارها وبهذا تعاونهم على أن يكبروا.

الشيخ : كل الأمهات يعنَّ أولادهن بالغريزة.

علاء : لكن يا شيخي إن الأم التي تعين أولادها أكثر تجعلهم يكبرون بوقت أسرع.

يهز الشيخ رأسه إعجاباً وقد أدهشه تحليل علاء وسعة خياله ونلمح نظرات الحسد من عبيدة ونظرات الفرح والإعجاب من نور...

الشيخ : إنها سنة الحياة يا بني حيث كائنات تكبر أسرع من كائنات أخرى... ستكبر يا علاء كما قدر لك الله أن تكبر...

علاء يسأل باندفاع.

علاء : .. أما من شيء يحقق لي ذلك بسرعة؟

يخفي الشيخ ابتسامته، ويتابع سمسم ما يجري باهتمام وفخر بذكاء صديقه.

الشيخ : لا تعارض سنة الحياة يا صغير... والآن دعنا نعود للدرس..

* * *













في الحظيرة الخاصة بدار علاء نشاهد البقرة تقبع في مكانها ساكنة تراقب ما يجري بين الدجاجات الثلاث (الدجاجة الثرثارة والدجاجة السمينة والدجاجة الفضولية) وهن يجلسن على البيض والديك نائم بالقرب منهن لكن حدة شخيره تتصاعد متزامنة مع حوارهن، أما السلحفاة فكانت نائمة داخل قوقعتها.

تراقب البقرة بقلق الطريق الممتدة خارج الحظيرة حيث يفترض أن يأتي علاء منذ زمن.

تنهض الدجاجة الثرثارة إلى لوح معدني قديم مهمل اتخذته مرآة لها لتطمئن على زينتها ثم تقترب من الدجاجتين اللتين كانتا تتغامزان عليها وهما جالستان على البيض.

الدجاجة الثرثارة : أين وصلنا..... أه وقد وعدني بأن يعلمني تصرفات دجاجات المجتمع الراقي.

وهنا يفتح الديك عينه فنكتشف بأنه غير نائم لكنه يتابع شخيره بخبث.

الدجاجة الفضولية : هاااا وكيف تكون تصرفاتهن ؟.

الدجاجة الثرثارة : وما أدراني.. سمسم وحده يعرف، فهو ذو حسب ونسب، وقد عاش في قصر فيه ملكات وأميرات.. وهو على معرفة ودراية بأفعال دجاجاتهن.

وهنا يشعر الديك بالغيظ لذكر سمسم.

الدجاجة الفضولية : سأطلب من سمسم أن يعلمني ذلك أيضاً ؟؟؟.

الدجاجة السمينة: وأن يعلم فراخي ؟؟

وهنا تعود الدجاجة الثرثارة إلى طبيعتها الشعبية بعد تصنعها.

الدجاجة الثرثارة : لكن سمسماً اختار أن يعلمني أنا.

الدجاجتان تجيبان في الوقت نفسه وهما تنهضان عن البيض بتوتر فيتحرك الديك من مكانه.

الدجاجة السمينة : لقد أخطأ في اختياره.

الدجاجة الفضولية: أنت التي دفعته إلى ذلك بإلحاحك الدائم عليه.

تهجم الدجاجات الثلاث على بعضهن بعضاً ونسمع الدجاجة الثرثارة أثناء العراك تقول:

الدجاجة الثرثارة : اختارني لأني جميلة ومؤدبة...

أثناء ذلك تدوس السمينة بيضة فتتكسر ويطير ما بداخلها إلى وجه الديك الذي كان يتابع ما يجري.

الدجاجة السمينة : أنا مَنْ سيعلمك الأدب على أُصُوله.

وتتدحرج بيضة أخرى لتقع على قوقعة السلحفاة النائمة فتخرج رأسها وتنظر لما يجري، تهم بالتدخل لكنها تتراجع عندما يصرخ الديك بهن.

الديك : كفى... أكل هذا العراك بسبب ذلك المائع سمسم ؟؟!.. إنه ليس طيرا إنه... إنه... عصفورة تافهة، سمسم..... سمسم .... إنه سمسمة.

لكن الدجاجات لا يبالين بكلامه، ويتابعن عراكهن فتتطاير أرياشهن في كل مكان، ويهرع الديك ليحمل البيض الذي كان يتدحرج هنا وهناك فيجمعه ويحميه بجناحيه، تمد الدجاجة الفضولية عنقها من وسط العراك لتسأله.

الدجاجة الفضولية : أين ستأخذ البيض ؟!.

الديك : إنه مصادر....

يقولها وسائل البيض يسيل فوق وجهه. ومع دخول أم علاء ينتهي َالعراكِ، ويعود الجميع بسرعة إلى طبيعتهم الحيوانية.

تسير الأم إلى البقرة حاملة جرزة من الحشيش الأخضر، ترمي العلف وسط الحوض المخصص لطعام البقرة وتعود لتنظر نحو الطريق بقلق وهي تتمتم :

أم علاء : ... لقد تأخر علاء..؟؟!!







يتابع الشيخ جابر درسه مع الأولاد .

الشيخ : انظروا خلفكم انظروا إلى تلك الصخرة التي سدت الطريق.... هل تستطيع يا بدران أن تحملها وتبعدها عن الطريق من دون مساعدة أحد.

بدران : لا لا والله يا شيخي لا أستطيع..

الشيخ : من المؤكد أن لا أحد منكم يستطيع حملها.. لكن إذا تعاونتم جميعاً فسوف تستمدون القوة من اجتماعكم وتزيحونها.. وفي هذا تعاون على البر ومرضاة لله تعالى يا أبنائي.. لا تنسوا أننا بعد انتهاء الدرس سنتعاون جميعاً لنزيح هذه الصخرة عن الطريق... بدران !!

بدران (يفاجأ) **: حاضر شيخي.**

ينهض الشيخ ويهم بالخروج

الشيخ : وزع الألواح ريثما أعود .. لا أريد منكم شغباً في غيابي

يبدأ بدران بتوزيع الألواح على رفاقه، وعندها يستغل عبيدة خروج الشيخ ليهزأ بعلاء أمام الجميع.

عبيدة : هيه شباب فلنتعاون نحن على إزاحة الصخرة من دون علاء ولنتركه يتعاون مع عصفوره ودجاجاته بق بق بقيق.... بق بق بقيق.

يضحك الأولاد ويقلدونه...

الأولاد : بق بقيق..... بق بق بقيق.

يُستَفَز علاء ويهجم على عبيدة ويمسكه من عنقه... ينشب عراك قوي بينهما... تحاول نور مساعدة علاء... يهبط سمسم على رأس عبيدة لينقره...

أحد الأولاد يصرخ : اتركه يا عبيدة إنه صغير.

ضجيج وفوضى تجعل الجميع لا ينتبهون لعودة الشيخ...

الشيخ : **ما هذا ؟!... لِيَعُدْ كلٌّ منكم إلى مكانه..** (ملوحاً بعكازه) **علاء !! عبيدة!! انهضا إلى هنا.. محمود أحضر الفلقة** (الحبل والعصا).

محمود لا يعرف ماذا يفعل...يتمايل من ثقل الألواح التي لم يتمكن من توزيعها كلها يضعها على الأرض ويأتي بالفلقة... يرتعد الأطفال خوفاً... يطير سمسم مبتعداً إلى غصن آخرً... يسمع ضربات عصا الشيخ وصراخ عبيدة... ثم يسمع الشيخ يقول لعلاء غاضباً:

الشيخ : **علاء !!... هيا لقد جاء دورك.**

يرتجف سمسم خوفاً ويخبئ رأسه بين جناحيه كي لا يسمع صراخ صديقه علاء.



على ضفة النهر الذي يفصل بين القرية والغابة جلس علاء حزيناً وقد وضع قدميه في ماء النهر ليبرد ألمهما بعد الفلقة، يحاول سمسم الترويح عنه فيغطس في الماء ليبلل ريشه ثم يخرج ويأتي إليه لينفض قطرات الماء على رأسه.

سمسم : ليس من العدل أن تعاقب مثل عبيدة.

يبدو التأثر على علاء وتغرق عيناه بالدموع.

سمسم : ها هو بدران قادم... تماسك .

نرى بدران يسير مع أبيه لكنه ينحرف عن مساره حين يلمح علاء ويمضي ليصبح قريباً منه ثم يبدأ بالتباهي حاملاً فأسه ومستعرضاً لعلاء...

بدران : لم لا تأتي معي إلى الغابة ؟.

لا يبدي علاء أي اهتمام...

بدران : آآآه فهمت.. إنه الخوف أيها الجبان....

يغتاظ علاء ويهم لينهض إليه لكن والد بدران يصرخ من بعيد...

والد بدران : بدران ؟!!.

فيرتبك الصبي ويتعثر فيقع مع فأسه.

والد بدران : ما بك... هيا ؟!!.

ينهض الصبي ويسرع باتجاه أبيه الذي كان ينتظره في قارب صغير من أجل أن يجتاز بهما النهر إلى الضفة الأخرى.

علاء يخاطب سمسم باستياء

علاء : هه... بدران يستطيع الذهاب إلى الغابة ؟! أما أنا فلا..

يجيبه سمسم محاولاً التخفيف عنه.

سمسم : يفعل ذلك لأنه برفقة والده.

علاء بحزن

علاء : لو كان أبي على قيد الحياة...!! لو كنت كبيراً

يغص صوت علاء بالبكاء ويتأثر سمسم، صوت خرير الماء يعلو...



*   *   *

تستعد الشمس للغروب، وعلاء مع سمسم يصعدان الدرج المؤدي إلى بيوت القرية. تظهر نور وهي تأكل تفاحة. تفاجأ بلقاء علاء فتسرع إليه.

نور : **علاء !.. علاء !!.. انتظر.**

تصل إليه لاهثة ، فيتوقف ممتعضاً.

نور : **أما زلت منزعجاَ من عقاب الشيخ جابر..؟**

سمسم يراقب نور وهي تأكل التفاحة متقززاَ من الصوت الذي تصدره أثناء قضمها.

علاء : **لو كنت كبيراَ لما ضربني.**

نور : **لكنه عاقب عبيدة أيضاَ مع أنه كبير وقوي.**

علاء : **عبيدة ليس قوياَ كما تظنينه.**

نور : **هاه... ولماذا استطاع أن يوجّه إليك لكمات أقوى من تلك التي وجهْتَها إليه؟**

(تنتبه لتأثر علاء فتحاول مراضاته)... **طبعاً.... طبعاً لأنه أكبر منك.**

يهم علاء بالمشي بعد أن استفز من كلامها ثانية، فتحاول نور مرافقته لكنه يمنعها.

علاء : **دعيني وحدي.**

نور : **كم أنت غريب الأطوار..!**

(تتركه وتبتعد غاضبة لكنها تعود و تلتفت إليه)

نور : **ثم مَنْ قال لك إنني أريد أن أمشي معك أصلاً ؟؟! هه .**

يهمس له سمسم

سمسم : **لا تقلق، إنها لا تطيق خصامك أكثر من يوم واحد.**



يمضي علاء متوجهاَ إلى بيته وأثناء سيره يمر بطرقات جبلية وبيوت ريفية مختلفة.

تلوح لنا طيوف النور والأحلام

نمد لها أيادينا

فتملأ بالسراب دلاءنا الأوهام

تنادينا

نحاول مرةَ أخرى

فنرجع دون غايتنا

وذكراها تصاحبنا مع الأيام تناجينا

يمر الباز في نهاية الأغنية ومن جديد ينظر إليه علاء بإعجاب على العكس من سمسم الذي يرتعد من الخوف ويسارع إلى الاختفاء من جديد.

* * *

حركة جميلة لآلة تلف الخيوط الخاصة بعمل أم علاء كان يقوم علاء بتشغيلها، تظهر أم علاء قربه وهي تطرز بهمة عالية وحولها عدد من شلل الخيوط الملونة والعباءات.

علاء ينفث متذمراً : آآآه... لقد تعبت، وأصبحت يداي تؤلمانني كثيراً

أم علاء : اصبر يا ولدي...... ها قد انتهينا

علاء : متى ستتخلصين من هذا العمل ؟!.

أم علاء : أنا مستمتعة به.

يجيب بعصبية وقد تشابكت بين يديه كتلة كبيرة من الخيوط.

علاء : أي متعة هذه ؟؟!... إنه عمل شاق ومتعب.. كيف تستطيعين تحمله ؟!

أم علاء : اصبر يا علاء.. سأتوقف عن هذا العمل حين يشتد عودك وتستطيع الاعتماد على نفسك.

(علاء يستمع لها لكنه يفرغ جل غضبه في الخيوط التي بين يديه فتتشابك لتصبح عقدة كبيرة، وتتابع الأم دون انتباه لما يجري).

أم علاء : دعنا الآن من هذا الحديث فأنا على عجلة من أمري.!!

ترفع أم علاء نظرها فترى الخيوط المتشابكة. تقطع نهاية الخيط الذي معها بغضب وتنهي التطريز...

أم علاء (تشهق) : **ها ه !!**

تنهض بعصبية وتشد الخيوط المتشابكة من يده

أم علاء : ما هذا ؟!!... لقد أفسدت كل شيء !!.... ابتعد من هنا.

(يبتعد علاء عن المغزل وقد تشابكت الخيوط حوله وينظر إليها خائفاً) ؟

أم علاء : متى ستكبر.. ؟! لتفهم معنى المسؤولية.....

(تبدأ بالبكاء والصراخ وهي تلملم عباءاتها)

أم علاء : لا حول ولا قوة إلى بالله !!.....

(نرى الحيوانات وقد تجمعوا في الحظيرة قريباً من الزاوية القريبة من غرفة المعيشة ليسمعوا الشجار، يصعد الدجاجات والفراخ بعضهم فوق أكتاف بعض حتى يراقبوا الحدث بوضوح أكثر).

أم علاء : هل تعلم كم من الوقت سأحتاج لإعادة ترتيبها ؟؟!... لا حول ولا قوة إلا بالله !!.

علاء : لم انتبه أنا آسف... أمي

ترمي بالأثواب داخل الصرة وتعقدها بعصبية ثم تحملها وتخرج من غرفة المعيشة وهي تتمتم

أم علاء : لا أريدك أن تساعدني بعد اليوم..

يلحق علاء بها إلى ساحة الدار والحيوانات تراقب ما يجري من باب الحظيرة، يهم راكضاً خلفها لكنها تسرع الخطى مبتعدة.

علاء : انتظري سأذهب معك...!!

أم علاء تحذره من بعيد.

أم علاء : ابق هنا وإياك أن تتبعني...

تغادر الأم وتختفي في عمق الطريق

تقترب البقرة من علاء الذي جلس في زاوية قريبة منها منكمشاً على نفسه يمسح دموعه.

البقرة : لا تحزن يا علاء... كل الأمهات يوبخن أولادهن.

يدفن الصبي رأسه بين ساقيه، فنسمع صوت الدجاجة السمينة وهي توبخ الفراخ المشاغبين الذين راحوا يتسابقون ويتشاقون.

الدجاجة الأم : .... ولا سيما إذا كانوا أشقياء.

تقترب السلحفاة من علاء

السلحفاة : لا تنس أن أمك تتعب من أجلك يا علاء.... والواجب عليك مساعدتها لا لومها.

وهنا يجيبها الديك معترضاً

الديك : لكن علاء رجل.. ولا يجوز لها أن توبخه هكذا ؟

علاء : أنا صغير ولست برجل.... أنا لا أستطيع تحمل مسؤولية أيِّ شيء.. أيِّ شيء.

سمسم يجيب الديك.

سمسم : مشكلة علاء عائلية وخاصة جداً، ولا بد أن أجد لها حلاً مناسباً، فالرجاء ليحتفظ كل واحد برأيه لنفسه.

الدجاجة الفضولية (ترد على سمسم) **: ها ه.. ومن أنت في الحارة يا منخل بلا طارة.. ولماذا كل هذا التعالي.... أنسيت أنك طير مثلنا حبيبي؟؟!.**

وهنا يعلق الديك ساخراً

الديك : صحيح أننا كلنا طيور، لكننا نختلف بالصفات، فمنا القوي ومنا الناعم النعنوع!!؟

وهنا يستفز كلام الديك سمسم فيطير، ومع طيرانه تدخل الموسيقى التي ترافق الباز، وفي أثناء الطيران يلتفت سمسم إلى الأسفل ليقول جملته:

سمسم : لكن الطيور أنواع... منها من يحلق في السماء....... ومنها من يبقى جاثياً على الأرض...

في أثناء طيرانه البهلواني والتفاتته نحو الديك وهو يتحدث يصطدم بحبل غسيل فيلتف حوله عدة لفات ويقع على الأرض، فيضحك الجميع لكن السلحفاة تسكتهم.

السلحفاة : هسس

الجميع ينظرون إليها فتومي لهم بحركة من عينيها تجاه علاء الذي استسلم للبكاء.

ينتبه الجميع إليه عدا الدجاجة الأم السمينة التي انشغلت بملاحقة أصغر فرخ من أولادها..

الدجاجة الأم : ... تعال يا فصعون، كم مرة حذرتك من الاقتراب إلى هناك ...



* * *

في مدخل السوق الذي يكون أشبه بسوق الحميدية في دمشق نرى عازف ربابة جلس يغني (موالاً بمعنى كم أتمنى أن أعود صغيراً) يضع قِدْراً فخارياً صغيراً ليجمع به ما يلقيه له المارة من نقود بعد استماعهم لعزفه.

من حركة الناس تظهر أم علاء والتعب بادٍ عليها.... تحمل صرة العباءات على رأسها لتدخل إلى السوق الذي سُقِفَ جزءٌ منه ... نستعرض من خلال مسيرها الدكاكين وهي تعرض بضائع مختلفة من أقمشة ونحاسيات وأثواب وأحذية وبزور مختلفة وعطورات..... ونسمع أصوات الباعة المتجولين تصدح هنا وهناك...

(**العرق سوس عرق سوس هلاء عبينا عالنبي صلينا... العوجة** (فصل الشتاء) **أول فواكي الشام يا عوجة...** الكمة (فصل الشتاء بعد الرعد) **سمراء**

وبنت العرب هالكمة... الليمون حامض يا ليمون للزيتون يا ليمون... المشمش (فصل الصيف) **آخر إيامك يا مشمش مال العجم يا مشمش... ملوخية** (آخر فصل الصيف) **حبشية للمونة هالملوخية... الموز أبو نقطة يا موز... الناعم ياللي الهوا رماك ياناعم... الحلي التقليدية حلي وأطواق.. خواتم وأساور للحلوات...** (تعا صالح حماتك)... **بائع الحرائر الحرير البلدي اشتري للحلوة يا ولدي... بائع الفخار قدور الفخار أقوى من الحجار... التمر تمر النبي بركة مال المدينة يا تمر... التوت** (فصل الصيف) **بلح يا توت... التين** (فصل الصيف) **بعل يا تين وأبيض من الياسمين... الحليب أصلك حليبك يا حليب... حليوووهووب... خدوا الحليب وصلوا عالحبيب... الخيار** (فصل الصيف) **بإيدي قطفته يا خيار... العتيق مرمر يا خيار... يا مال الشام يا خيار... بيسبح بالبركة هالخيار... أصابيع البوبو يا خيار... الرمان بعل يا رمان.**

قرب ودوق هالرمان... الزيتون أخضر مفقّش هالزيتون... كول وزيّت من هالزيتون...

السفرجل (فصل الشتاء) **كل عضّة بغصّة يا سفرجل... العنب** (آخر فصل الصيف) **بـأربعة الرّطل يا عنب... العنب الزيني ألماس والعنب الأحمر دبّاس... قرب يا عيني عالعنب الزيني... البطاطا يبرودية هالبطاطا... البندورة يا بندورة يبرودية...**

تتجه أم علاء إلى أحد محلات الأقمشة الذي يمتلكه والد عبيدة.

ومن خلال عباءة وردية اللون تفردها أم علاء فتنسدل فوق طاولة العرض الخشبية ننتقل إلى داخل متجر والد عبيدة، وهنا نتعرف على العم مرزوق والد عبيدة يتسلم منها العباءات (يكون رجلاً في الأربعين من عمره، يميل للبدانة، ملامح الطيبة والتقى بادية على وجهه)، أما عبيدة فيظهر في العمق وهو يرتب بعض العباءات ويستمع إلى ما يدور بينهما من حوار.

أم علاء : وهذه الخمرية التي طلبْتَها لخازن بيت المال.

أبو عبيدة (بإعجاب) : هاه... بوركت يداك يا أم علاء.. ما أجملها.. تبدو في تطريزها باهظة الثمن.

تبتسم أم علاء بفخر، وعبيدة يغتاظ.

أبو عبيدة : عبيدة !! ضع هذه العباءات في مكانها، واعرض الخمرية في الواجهة قبل أن يأتي رجال خازن المال لأخذها.

يأتي عبيدة ممتعضاً ويهم بحمل الأثواب.

أم علاء : كيف حالك يا عبيدة ؟

عبيدة : (ببرود) بخير...

أبو عبيدة يتجه إلى الصندوق ليخرج المال ويوفي أم علاء أجرها.

عبيدة يحمل العباءة الخمرية ويتجه إلى الواجهة.

أبو عبيدة : علمت من الشيخ جابر أن علاء يفوق الجميع بحفظه للقرآن... وبراعته في نسج الحكايات.

عبيدة ينصت بغيظ.

أم علاء : الحمد لله.... لقد بشرني الشيخ جابر بأن سيكون له شأن في الأدب والشعر.

يضطرب عبيدة من شدة الغيظ يشد العباءة التي علقها على المشجب فتتمزق محدثة صوتاً تسمعه أم علاء وتصرخ.

أم علاء : هاه ؟ !!.

وهنا يرتبك عبيدة لما حدث ويقع على الأرض وفوقه المشجب الذي يجر خلفه العباءات فتسقط تباعاً، يصرخ أبو عبيدة مذعوراً..

أبو عبيدة: هاه... ويحك... ماذا فعلت ؟!

عبيدة : لم أقصد...

يحاول النهوض.

أبو عبيدة : أنت لا تتقن فعل أيِّ شيء.... ابتعد...

(يسرع إليه وينحني ليلتقط العباءة)

أبو عبيدة : يا إلهي لقد مزقها.... لا حول ولا قوة إلا بالله.

أم علاء : هون عليك يا أبا عبيدة.... لم يقصد تمزيقها... فهو مازال طفلاً يتعلم من أخطائه

أبو عبيدة : لن أرجو منه نفعاً.. لا في العلم ولا في العمل.. ماذا سأقول لصاحبها الموعود بأخذها اليوم؟... يا لمصيبتي.. اغرب عن وجهي قبحك الله من ولد غبي.

يخرج عبيدة

أم علاء : لا تقلق يا أبا عبيدة.... سأطرز واحدة مثلها تماماً... وأجلبها لك في صباح الغد بإذن الله.

يهدأ أبو عبيدة.

أبو عبيدة : كفاك الله شر المهانة يا أختاه... إن فعلت هذا فسأعطيك ضعف أجرك.

يسمع الحديث عبيدة الواقف عند باب المحل فيزداد غيظاً ويركض مبتعداً.









من خلال قوائم السلحفاة المتحركة ببطء ومن خلال جسدها المتكور نرى علاء وقد جلس شارداً في حزنه. تتحرك نحوه وحين تقترب منه يظهر لنا وجهه حيث كانت السلحفاة قد بدأت بالظهور من خلفه. عيناه مصوبتان نحو السماء.

السلحفاة: ما سبب هذا الصمت؟

علاء : انتظر قدوم الباز....

تنظر السلحفاة إلى حيث ينظر فترى طائرين صغيرين يحلقان في البعيد.

السلحفاة: معظم الحيوانات تخشاه حين يظهر.

يلتفت إليها

علاء : إلا أنا...

(يعود وينظر لما كان ويتابع) .

علاء : أشعر بالطمأنينة حين أراه.

وهنا تسقط كرة من الخيطان على رأس علاء ثم تتدحرج على قوقعة السلحفاة فيلتفتان ونرى فرخين يركضان وخلفهما سمسم الذي راح يوبخهما ونرى الصغير منهما قد تدلت من قدمه قطعة خيط فراح يتعثر بها ليبدو شكله مضحكاً للغاية.

سمسم : كفّا عن اللعب بالخيوط...

ثم يوجه حديثه لعلاء.

سمسم : علاء يجب عليك أن ترتب الخيوط قبل عودة أمك..

تبدأ الأغنية .

الفرخان يركضان باتجاه أمهما والصغير يتعثر فتتلقفه الدجاجة الأم وتؤنبه.

الدجاجة الأم : الخيطان.. الخيطان!!

الدجاجة الفضولية : أية خيطان ؟!

أما الدجاجة الحسناء فتعلق مجيبة وهي تقوم بمساج للديك

الدجاجة الحسناء : هه خيطان...

وهنا يدخل علاء وسمسم والسلحفاة وهم يحملون شللاً متشابكة من الخيوط وتبدأ الأغنية :

تتساعد الحيوانات في لف الخيوط وضبطها مع علاء، كلٌّ بطريقته، البقرة تلف الخيوط بمساعدة قرنيها الصغيرين والسلحفاة تلفها حول نفسها وتدور لتصبح كاللولب، حيث يسود جو من المرح والكوميديا والمقالب المضحكة أثناء العمل.

الجميع :	**خيطان خيطان**	**متعددة الألوان**
	خيطان خيطان	**ينسجها الإنسان**
علاء :	**يا خيطي أسرع هيا**	**حلق رفرف نحو الأعلى**
	خذني أسرع كي نرتاح	**كي نرسم أياماً أحلى**
السلحفاة:	**يا خيطي لا تتعجل**	**قد تتعقد قد تلتف**
	وسيصبح سحبك أثقل	**لن يتمكن منك الكف**

عند تكرار الموسيقى يبدأ الديك بملاحظة سمسم واهتمام الدجاجات بحركاته

سمسم : **لف الخيوط ذوق وفن.**

انطباعات اهتمام الدجاجات بسمسم تصبح واضحة أكثر، وبداية تصاعد غضب الديك

الدجاجة الأم : نتخيل أن الخيط طعام يتحرك ينسل

لا تتردد وبسرعة انقض على الطرف الأعزل

تتحول صورة الخيوط إلى ديدان تحاول الهروب

ارفعه وأنزله بخفة وأدره فتكتمل اللفة

الفراخ : ارفعه وأنزله بخفة وأدره فتكتمل اللفة

الدجاجة الأم : واللفة فوق اللفة تصنع كرة من خيطان

هنا لم تعد المساعدة بلف الخيطان تشغل بالَ الديك، فهو مقتنع تماماً بضرورة حفظ كرامته من تصرف الدجاجات فيصرخ :

الديك : خيطان خيطان

هنا لا يكمل الكورس الأغنية بل تبدو الموسيقى مترددة ومتناقصة (كعدد الآلات مثلاَ).

الديك : خيطان خيطان

بقوة وببشاعة أكثر ونفاد صبر وإلحاح على المعنى السابق وقبل أن يأتي دور الكورس تقطع الموسيقى على صوت الصرصور الذي انزعج من صوت الديك النشاز والبشع.

صرصور الليل : ما هذا الإزعاج يا أخي أنا تعب

عندي عمل هذا المساء وأنت تنتحب

الديك : أنتحب ؟!!

الدجاجة الفضولية : من هذا

الدجاجة الثرثارة : يقال إنه مطرب.....................

الديك : انزل إن كنت صرصوراً يا مكرب

موسيقى ترافق المحاولات الغبية من الديك للإمساك بالصرصور، حيث أعماه الغضب من سمسم وزاد الطين بلاً كلام الصرصور...

سمسم : ديـــك بـعـقـل صـوص وبمـــلامـــح الـهـبـل

يــطــارد الـصــرصــور يـــا لــلــعــار والخــجــل

وهنا تبدأ معركة بين الديك وسمسم مع الموسيقى....

السلحفاة : لا وقت للشجار يا صاحبي، هل

ستلتف الخيوط وحدها بلا عمل؟

إعادة من دون غناء وبموسيقى حنونة تظهر تلاشي غضب الديك وانتهاء المعركة، وفي أثناء الموسيقى تتدخل بعض الآلات عندما يتحرك الديك ويبدأ بنفش ريشه على طريقة (القبضايات) وكأنه لم يكن في وضع يدعو للسخرية قبل قليل، وسمسم يعدل هندامه بأناقة و(سينييه) وكل منهما يتحرك وكأنه غير معني بالموضوع.

البقرة : الـــوقـــت يمـــر بـســرعــة والـعـتـم عـلـى الـبـاب الآن

الكورس : خـــيـــطـــان خـــيـــطـــــان

خـــيـــطـــان خـــيـــطـــــان

خيطـان خيطـان.........

في نهاية الأغنية تتحول الخيوط الملونة إلى كرات تحملها الحيوانات مع علاء إلى غرفة المعيشة، وعندما يسمعون صوت صفق باب الدار يسرعون إلى الحظيرة تاركين علاء.

تدخل أم علاء الساحة ثم غرفة المعيشة فترى الخيوط مرتبة، تبرق عيناها من الفرح، علاء ينظر إليها بسعادة فتهرع إليه وتعانقه وسط تأثر سمسم الواقف على النافذة و قد دمعت عيناه من الموقف.

أم علاء (بفرح شديد) : **هاه !!.... بارك الله فيك يا بني وأنار لك طريق الخير.**



* * *

في ظلمة الليل نلمح الباز يقف على حافة سور الحظيرة من الجهة المطلة على الجبل يتحدث مع السلحفاة بهمس والبقرة تراقبهما عن قرب، وفجأة ينتهيان من الهمس وينطلق الباز محلقاً وتتابعه السلحفاة بنظرها، ثم تتحرك لتنعزل في مكانها الخاص وتبدأ بالدعاء.

السلحفاة : يا ربِّ ارْحمِ هذا البيت، وامنح ساكنيه الصبر والعمر المديد والرزق الوفير وجنبهم سوء البلاء يا رب العالمين...

ننتقل إلى الدجاجة الثرثارة التي كانت تضع على وجهها قناعاً من الخيار، ثم تشرع بإزالته أمام مرآتها، تنظر نظرة تعالٍ إلى الدجاجات النائمات، وتتجه إلى إناء الماء المخصص للبقرة.

تستدرك السلحفاة حيث تذكرت شيئاً فتفتح عينيها

السلحفاة : وحققْ أيضاً لعلاء كل ما يتمناه في هذه الحياة....

تنتبه الدجاجة الثرثارة للبقرة والسلحفاة فتسترق النظر إليهما

البقرة : هل ستخبرينهم بالسر ؟

تلتفت السلحفاة نحوها:

السلحفاة : لا، ليس الآن، إذا لم أُضطر للكلام فلن أبوح به... والآن إلى اللقاء، لقد تأخرت.

تهز البقرة رأسها مودعة.

البقرة : سأنتظر عودتك..

تتحرك السلحفاة نحو كومة قش، تبعدها فتظهر حفرة عميقة تدخلها...

البقرة تراقب لها خلو المكان في حين كانت الدجاجة الثرثارة تراقب الاثنتين من داخل الخم وتهمس في قرارة نفسها:

الثرثارة : همممم.... سرٌّ إذاً !!!.

* * *

تنهي أم علاء آخر غرزة في يدها بعد أن طرزت عباءة خمرية جديدة، وعلاء راح يقفز على فراشه.

علاء : أمي..... أمي...... حقاً قال عني أبو عبيدة ذلك ؟

تضع أم علاء العباءة جانباً،وتنهض لتحمل المصباح وتعلقه على الحائط بصمت ثم تقترب من علاء.

أم علاء : نعم، وقد شعرت بالفخر....

علاء : أنت فخورة بي ؟

أم علاء : جداً...

علاء يتمدد في فراشه وتغطيه بحنان ثم تدنو لتصبح قريبة منه تحنو عليه وتمسح رأسه.

علاء : أظن أن عبيدة قد انفجر غيظاً...

تسحب يدها من شعره محتجة.

أم علاء : .... اسمع يا علاء !! لا أحب أن أراك حقوداً.

علاء ينزعج من كلامها وتتبدل حاله ليصبح أكثر كآبة

علاء : لكنه....

أم علاء تنظر إليه نظرة عتاب، فيشيح وجهه عنها.

أم علاء : لا تعجبني أحوالك هذه الأيام...

علاء : لا تقلقي أمي... أنا بخير .

أم علاء : ما بك ؟! أخبرني....!!.... أجبني هيا أنا أتكلم معك....

تعود وتهدئ من نبرتها معه.

أم علاء : علاء... أنت كل ما لدي في هذه الدنيا أريدك طيب القلب دائماً... فلا تخيب ظني يا ولدي... كما أنني لا أحب أن أراك حزيناً.

علاء : أمي......... أنا أحبك وأخاف عليك.

يعانقها

الأم : لا تخف علي يا حبيبي أنا بخير ما دمت أنت بخير .

تبتسم وتضمه، وينسحب منها ليدس رأسه تحت الغطاء، فتغطيه جيداً وتتحرك باتجاه القنديل تحمله وقبل أن تطفئ شعلته تخطف نظرة إلى طفلها ثم تخرج.

يغطي الظلام المكان لكن وجه علاء يبقى مضاءً بنور القمر وعيناه تبرقان كنجمتين.

* * *

السحب الرمادية تملأ السماء، حقيبة تلوح في الهواء ومنها ننزل إلى نور التي كانت تسير على مفرق الطريق الفاصل بين طريق بيتها وبيت علاء.
(ملاحظة يتخلل المشهد برق ورعد وأمطار)

نور : أف... هذه هي حال علاء أصل دائماً قبله.

تنظر إلى الخلف حيث لم يظهر لها علاء بعد، تجلس على حافة الطريق تنتظر، يظهر أمام وجهها (كسار الزبادي) تمد يدها لتلتقطه فيفلت من قبضتها.

يظهر الطائر سمسم محلقاً بحماس ويتجه نحوها. تلوح الفتاة بحقيبتها في الهواء محاولة التقاط (كسار الزبادي) وهي تدور... يصطدم سمسم بالحقيبة أثناء طيرانه فيقع على الأرض.

تفاجأ نور به وتسرع إليه...

نور : سمسم !!....... سمسم !!... يا إلهي..... هل أصابه مكروه ؟!.

تهزه بقوة، لكنه يتصنع الضعف، فتكاد تبكي..

نور : سمسم.... انهض...

تضع أذنها فوق صدره فتسمع دقات قلبه بوضوح. عندها يفتح سمسم عيناً ويغمض الأخرى بخبث.

نور : إنه يتنفس... لم يمت بعد... الحمد لله.... انهض، أحضرت لك ديدان الأرض التي تحبها... إنها في الحقيبة... لقد جمعتها من أجلك.

يحاول سمسم النهوض والوقوف لكنه يشعر بالدوار، يمشي ويترنح، لكنه يضبط نفسه.

تسرع نور وتفتح حقيبتها لتخرج منها علبة خشبية جمعت فيها ديداناً مختلفة الأحجام والألوان تقدمها له.

نور : أظنها تكفي للغداء والعشاء...

سمسم يبدو متأنفاً وهو يبحث بين الديدان ليختار واحدة منها، تدفع نور له الصندوق وتبتعد، يظهر عبيدة من خلف شجرة كبيرة ليتربص بها، تفزع نور من مباغتته لها لكنها تتماسك.

عبيدة : سلام !

نور : ماذا تريد؟!

يتقدم نحوها بضع خطوات

عبيدة : لا شيء يذكر...

تبتعد إلى الخلف وتقول بنبرة حازمة

نور : إذاً، لماذا تعترض طريقي من دون استئذان؟

عبيدة : لأني أحب المفاجآت.

نور : كف عن تلك السخافات و ابتعد من هنا..... هيا.

عبيدة : ليس قبل أن آخذ منك تلك الحقيبة الثقيلة.

نور : قلت لك ابتعد عني.... وكف عن إزعاجي.

يعود ويقترب منها في حين تحاول الإفلات منه لكنه يناور معها يميناً ويساراً

عبيدة : لا بد أنها حقيبة ممتلئة بالفطائر اللذيذة التي خبأتها لصديقك الأبله علاء ....

تنتفض نور في وجهه غاضبة

نور : بل أنت هو الأبله..

يُصدَم عبيدة بإجابتها

عبيدة : هاااه...!! ماذا قلت أيتها الحمقاء ؟!... هاتي الحقيبة...

يهجم عبيدة على نور ويشد الحقيبة فتحاول أخذها منه، وعندها تطول الحقيبة ويتمزق جزء منها لتسقط الشطائر على الأرض .

نور : اتركها...

لكمة على وجه عبيدة تسقطه أرضاَ، يصحو وينهض ليُفاجَأ بعلاء الواقف فوقه، تأخذ نور الحقيبة وتبتعد مع سمسم.

علاء : ابتعد عنها..... لقد بات من الضروري تأديبك يا عبيدة.

عبيدة ينهض

عبيدة : أنت ؟!!! أنت من فعلها ؟!!! هه، أنا لا أصدق.. صبي صغير غض غضغوض مثلك يتجرأ على ضربي....!!!

يشعر علاء بالاستفزاز فيهم ليسدد إليه لكمة أخرى لكنها لا تكون بقوة الأولى فينقض عليه عبيدة ويمسك رقبته ويبدأ الاثنان بالمصارعة.

تحاول نور فض العراك بينهما فتنادي...

نور : علاء !!... اتركه... عبيدة !! توقف.

علاء وعبيدة يتدحرجان على الأرض، والتراب يغطيهما، الأعشاب تتناثر حولهما، سمسم يسرع ليساعد علاء فيضربه عبيدة ويسقطه أرضاَ.

عبيدة : سوف أجعل أمك تعيد عملها في كل مرة كما فعلت بالعباءة الخمرية.

علاء : أيها الوغد....؟

يصبح عبيدة فوق علاء

عبيدة : وسأطلب من أبي أن يعطيها أجراً زهيداً.... كي تموتا جوعاً.

يستعر علاء غضباً ويحاول أن يصبح فوق عبيدة لكنه لا ينجح، ويحكم عبيدة السيطرة على خناقه ويمسك رأسه ويضربه عدة مرات بالأرض فيغمى عليه. نور تصرخ وتهرع إليه وقد فقدت صوابها...

نور : علاء !!... علاء !!...

عبيدة : والآن أطعميه فطائرك.

يتركهما ويجري مبتعداً ونور تبكي محاولة إيقاظ علاء

نور : علاء. !!.. انهض أرجوك..... علاء !!....

يزحف المسكين سمسم إليه بضعف ويحنو عليه يحاول أن يوقظه بجناحيه

نور : علاء !!.. انهض هيا

وهنا يظهر الباز محلقاً على ارتفاع منخفض ويتجه نحوهم، تفزع نور لرؤيته وهو يقترب، يرتعد سمسم خوفاً.. يهبط الباز أكثر ليحجب الضوء عنهم.. يفتح علاء عينيه لثوان قليلة ويستعيد وعيه فيرى الباز غير واضح المعالم .

وهنا يبتعد الباز ويرتفع عالياً يتابعه علاء وفجأة يثب من مكانه ويركض متجهاً إلى داره فتناديه نور :

نور : علاء !!... علاء !!... إلى أين أنت ذاهب.. لقد تأخرنا على الشيخ جابر... علاء!!.....

لكن علاء لا يأبه لها ويتابع الجري، يلحق سمسم به ويغيبان عن ناظري نور التي وقفت وحدها مذهولة والجو يصبح أكثر سوءً بين ماطر وعاصف.

أصوات البرق والرعد ترافق علاء أثناء عدوه باتجاه منزله.

يدخل علاء ساحة الدار وهو مبتل وغاضب يبحث عن أمه في أنحاء البيت.

يصل سمسم بعده

علاء : أمي..... أمي.......؟!!.

يدخل المطبخ فلا يجدها، يعلو صراخه.

علاء : أمي.... أمي........؟!!.

يخرج من المطبخ ويدخل غرفة المعيشة.

علاء : أمي......أمي.....؟!!.

يخرج إلى ساحة الدار و يدخل الحظيرة و سمسم يتبعه كظله.

علاء ينادي وقد اشتد غضبه :

علاء : أمي !!...... أمي....؟!

السلحفاة : أمك ذهبت إلى السوق.

تضيء الحظيرة ومضة برق فنرى تأثير ذلك على السلحفاة التي اختبأت في قوقعتها.

علاء يسأل وقد استبد به الغيظ ونسمع الرعد على وقع كلامه:

علاء : لماذا ذهبت ؟؟.....

(يضرب بقدمه دلو ماء فينط إلى مكان الدجاجات فيهربن).

علاء : لا أريدها أن تذهب.....

(يندفع باتجاه البقرة ليضرب عموداً خشبياً).

علاء : لا نريد نقودهم...... لن يكف عبيدة عن إلحاق الضرر بها.

البقرة (بقلق) : **لماذا ؟..**

علاء : لأنه سفيه... أنا لا أستطيع الدفاع عنها... لا أستطيع أن أعمل وأريحها.

وهنا يجهش بالبكاء فتبكي الدجاجات من أجله، ويشيح الديك وجهه عنه كي لا يرى أحد دموعَه، يتألم سمسم من حديث علاء، بينما تتقدم السلحفاة محاولةً تهدئته.

السلحفاة : علاء... !.. سيأتي يوم تكبر وتساعدها يا بني.

علاء : وحتى أكبر كم من اللكمات سأتلقى من عبيدة؟

الديك : أنت رجل بمقدورك أن ترد لكماته بصفعات أقوى منها.

ومع حديث علاء تلمع الدنيا بريقاً.

علاء : لا.. أنا لست رجلاً، أنا مازلت طفلاً ضعيفا... صغيراً... صغيراً جداً.

ومع حديث السلحفاة يأتي صوت الرعد في حين يهدأ علاء ويخف بكاؤه.

السلحفاة : وما العيب في أنك طفل ؟!. أنت تكبر... في العام الماضي كان عمرك سبعة أعوام، والآن أصبح عمرك ثمانية أعوام.

علاء : وغداً عمري ثمانية أعوام ويوم!!، وبعد غد ثمانية أعوام ويومان!! لماذا علي انتظار كل هذا الزمن ؟!!.....

السلحفاة : أنت لا تنتظر.. لقد خلقنا الله كائنات صغيرة نكبر.. ونكبر لنتعلم أشياء جديدة.

على صوت الدجاجة الثرثارة يلمع البرق.

الدجاجة الثرثارة : ونكتشف الأسرار التي تخفينها عنا ؟!!

نسمع صوت الرعد.

البقرة : يا لك من دجاجة حمقاء... اصمتي (إلى علاء) يا عزيزي لا تدع.....

يقاطعها علاء .

علاء : أية أسرار ؟! ما الذي تخفينه عني ؟؟! ...

السلحفاة : أنا... أنا

علاء : أنت ماذا ؟

السلحفاة : لدي سر قد يريحك... لكنني أتمنى أن لا أخبرك به....

علاء : عندك سر يريحيني... ولم تبوحي به حتى الآن ؟!!

السلحفاة : نعم لأنني لا أرى حاجة لذلك .

تلمع الدنيا من البرق على صوت علاء :

علاء : لا ترين حاجة لذلك؟!...أنت..أنت التي تقولين هذا ؟!..أنت التي تعرفين عني كل شيء وتعلمين ما أعانيه (يبتسم بسخرية)...

صمت... يتبادل علاء النظرات مع السلحفاة وقبل أن يهم بالذهاب يتوقف وينظر ملياً إلى الحيوانات ثم يتوجه بالكلام إلى السلحفاة.

علاء : كنت أظن أن لي أصدقاء لكنني عرفت الآن أنني واهم... وأنني وحيد.

يمشي متجهاَ إلى مدخل الحظيرة.

تنظر السلحفاة إلى البقرة التي كانت قلقلة جداً، ومن نظرتها يفهم أنه لم يبقَ أمامها خيار سوى كشف السر.

يتحرك الجميع إلى السلحفاة ويحاصرونها ويتحدثون كلهم في وقت واحد.

الديك : أخبريه هيا ...

الدجاجة الثرثارة : مادمت تستطيعين مساعدته فلماذا تتمنعين......

الدجاجة الفضولية : أخبريه بالسر هيا.....

الدجاجة الأم : ما سبب كل ذلك التكتم هاه؟...

وفجأة يخترق سمسم الجميع ويتقدم لمواجهتها بشجاعة لم نعهدها منه من قبل.

سمسم : إن كنت صديقتنا بحق وجب عليك أن تخبريه... أنا أفهم علاء جيداً حين يتحدث عن الضعف.. فأنا قضيت عمري أحلم في أن أصبح طائراً قوياً.. لأن الصغير ضعيف والكبير قوي..

يعود البرق ويضيء المكان فنرى الباز قابعاً قبالة السلحفاة يرصد ما يدور. يومي بحركة من رأسه للسلحفاة ثم يغيب في الظلام وعندها تقرر السلحفاة إخبار علاء فتناديه.

السلحفاة : علاء... سأخبرك بالسر

يلتفت إليها علاء لكن البقرة تتدخل لتمنعها.

البقرة : لا.. لا

تنظر السلحفاة إليها نظرة مُطَمْئِنة، لكنها لا تطمئن، فتزحف السلحفاة إلى إحدى الزوايا في الحظيرة ويمشي خلفها كل الحيوانات وهنا يتحرك علاء خلفهم فيتراجع الجميع خطوة للوراء كي يفسحوا له الطريق وهم ينصتون باهتمام إلى ما ستقوله له.

تتقدم السلحفاة من كومة القش و معها علاء. تتابع البقرة ما يجري بقلق.

السلحفاة : أبعد هذه.

يزيح علاء كومة القش، فتظهر حفرة كبيرة وعميقة جداً، ينظر علاء إلى السلحفاة مستفسراً.

علاء : إنها حفرة !!.

تتحدث السلحفاة وكأنها تقص حكاية لعلاء.

السلحفاة : لا... بل هي سرداب..... سرداب طويل..... في نهايته ستجد ما تسعى إليه .

تنظر البقرة إلى السرداب وتنظر إلى علاء وقد غمرها الخوف فتندفع لتقول له.

البقرة : لا.... لا تدخله يا ولدي.

السلحفاة : فكر ملياً إذا كنت مصراً على خوض هذه التجربة فعليك تحمل المخاطر والصعاب التي ستواجهك... أما إذا لم تكن كذلك فيمكنك العودة من بداية الطريق..

يهرع الجميع لينظروا إلى السرداب المعتم وقد أخذهم الاستغراب واستبد بهم الفضول وسكنتهم الرهبة.

علاء : فكرت... وسأدخل الآن.

الديك (بحماس) **: تلك هي قرارات الرجال.**

سمسم : فلتدخل معه يا رجل !!.

يجيبه الديك بخبث

الديك : لكنك أنت مرافقه الدائم.

وهنا يتراجع سمسم بجبن وخوف فينتبه له علاء.

علاء : ابقَ هنا سأذهب وحدي

لكن سمسم يتأثر ويندفع خلف علاء باتجاه الحفرة

سمسم : لا، لن احتمل فراقك يا صديقي ...

ينضم إليه وينزلان في الحفرة .

البقرة : يا رب...

السلحفاة : ليرعاكما الله...

الجميع يتحدثون بنفس الوقت : (الديك: وداعاً)...... (الثرثارة: رافقتكما السلامة).... (الفضولية: إلى اللقاء)... (الدجاجة الأم: انتبها جيداً).









وسط الظلام الدامس يندفع علاء وسمسم وهما مسلوبان بكل شيء حولهما حيث بدت الطريق غير واضحة وصعبة العبور تضيق وتتسع من حين لآخر.

سمسم الخائف والمتمسك بعلاء يعلن برودة المكان وضيقه.

سمسم : علاء، أكاد أختنق، الهواء هنا قليل جداً...

علاء : تماسك يا سمسوم يجب ان نصل إلى نهاية السرداب.

سمسم : وما أدراك فقد لا نصل ابداً

علاء : لا تكن متشائماً هكذا... امسك بي جيداً فالطريق تضيق.

نسمع أصوات أنفاسهما وصوت نقاط ماء تتساقط في العمق.

الاثنان يزحفان بصعوبة ونرى بعض السحالي والحيوانات الغريبة تظهر أمامهما فيصرخان ما يجعل السحالي تفزع وتسرع للاختباء في جحورها.

تتسرع ضربات قلب سمسم ونرى صدره يرتفع وينخفض بشكل مضحك وعلاء يتصبب عرقاً يحمله ويضعه في صدره.

علاء : هيا....

سمسم يعانقه بجناحيه وعلاء يزحف الآن على ركبتيه حيث انفرجت الطريق واتسعت قليلاً فيصل إلى مكان أوسع تظهر فيه الصواعد والنوازل وقطع من الجليد بلونها الماسي راحت تعكس أشعة فضية وذهبية وألواناً رائعة مثل الكريستال فيبدو المنظر رائعاً وساحراً للغاية.

يشهق علاء من شدة انبهاره لكن سمسم يظن أن شيئاً قد ظهر فيختبئ في ثوب علاء...

علاء : انظر يا سمسم... كم هذا رائع...

يخرج سمسم رأسه وينظر فيسحر بما يشاهده ونرى المكان قد أصبح واسعاً جداً بحيث يتيح لعلاء الوقوف منتصب القامة فيبدأ باستعراض اللوحات الجميلة التي صنعتها قطرات الماء الفضية التي راحت تنزلق وتتجمد بطريقة رائعة.

سمسم : يبدو كالماس حقيقي...

يفتح سمسم منقاره ليتلقى نقطة ماء لكنها تتجمد على الصخور قبل أن تصل فمه فيمتعض في حين يناديه علاء حيث وجد بحيرة ماء عذبة وباردة.

علاء : يا لها من بحيرة رائعة ؟!

سمسم يطير ليهبط ويبلل ذيله بها فيرتعش من شدة البرد..

سمسم : وه وه كم هي باردة..

ينحني علاء ويشرب من مائها فيرى وجهه المتسخ والمليء بالكدمات فيشرع بغسله وسمسم يقلده وحين ينتهيان ينظر علاء في الماء الذي يسكن فتنعكس صورة وجهه ويبدو نضراً جميلاً نظيفاً خالياً من الجروح والكدمات وكذلك يكون وجه سمسم.

ينظر الاثنان إلى بعضهما بعضاً باستغراب..

سمسم : يا إلهي انظر إلى وجهك لم تعد فيه كدمات..

علاء : وأنت أيضاً تبدو أجمل من السابق.

فجأة يظهر أمامهما مركب صغير مصنوع من الثلج يتأرجح حتى يصل إليهما بانسيابية يتبادل علاء وسمسم نظرات ذهول ودهشة وبدون وعي يتحركان ليصعدا فيه بعد أن ترتطم مقدمته بقدمي علاء وحين يهبط سمسم على كتف علاء يتحرك القارب وكأنه مبرمج ليمضي بهما داخل مغارة مائية فنسمع صوت تدفق الماء يزداد شيئاً فشيئاً...

ملاحظة : *المشهد يتدرج من الهدوء إلى التوتر مع تزايد صوت هدير المياه..*

سمسم : المكان يزداد برودة... أكاد أتجمد.

وفجأة يتأرجح القارب ثم يزداد تأرجحاً ليدخل علاء وسمسم في أجواء مخيفة جداً...

لكن القارب يهدأ وهو يقترب من حافة صخرية ويتوقف عندها فينزل علاء حيث بدا له الطريق مجرد شق صخري طويل ومتعرج تغزو شقوقه نباتات غريبة الشكل...

يمشي علاء في الطريق الجديد ويلحق به سمسم بعد أن استسلم لقدره..

يسمعان هسيساً وربما أصوات انزياح أوراق النباتات المتسلقة على الجدران وعبر الشقوق

وأخيراً يقطعان مسافة لا بأس بها في ذلك الشق الصخري وتهدأ خطى علاء في حين يزداد لهاثه ولهاث سمسم.

يقفان لحظة لأخذ قسطٍ من الراحة فينتبهان إلى الفطور المضيئة التي تكدست على جدران الشق وبدت جميلة...

علاء : انظر إلى هذه الفطور المضيئة دعنا نقطف بعضها...

علاء يقترب منها ويقطف واحدة و يحاول سمسم أن يقلده..

سمسم : إنها قاسية جداً..

يشدها سمسم بعزم ونرى ذيلاً داكناً يتحرك في زاوية ما

نعود إلى سمسم ما زال يحاول شد واحدة غيرها بكل ما أوتي من عزم وبقوة..

سمسم : أم... أه.....

الذيل يتحرك ومعه جزء من الجسد الغامض الذي يتلوى متحركاً.

يبدو سمسم في وضع لا يحسد عليه وهو ما زال يشد واحدة من الفطور وفجأة تلمع نقطتان لمعاناً شديداً أمامه فيشعر بأن هناك أمراً غريباً سيحدث. يهدأ ويمعن النظر فيما يراه ثم يسأل علاء

سمسم : علاء، ما هذا الذي يلمع هنا..؟

يقترب منه علاء ويمعن النظر وفجأة تتحرك النقطتان اللتان كانتا عينين في رأس ثعبان مخيف يظهر ويتحرك باتجاههما فاتحاً فمه لابتلاعهما.

يصرخان صرخة مدوية ويركضان فيلحق الثعبان بهما وينكشف لنا جسده الطويل مع حركته الملتوية حول الصخور والنتوءات الصخرية فتكون المطاردة سريعة تحبس الأنفاس.

الثعبان يظهر لهما كيفما يتجهان حتى يصلا نهاية السرداب فيسطع بصيص نور لا يلبث أن يتسع أمام علاء المندفع محاولاً الخروج من السرداب إلا أن الثعبان يقفز عنه ويصبح أمامه ليصير علاء من داخل السرداب والثعبان خارجه ويحجب عن وجهه نور الشمس.

ينجح الثعبان في لف سمسم بذيله والقبض عليه بإحكام. ثم يفتح فمه ليبتلع علاء المحصور في زاوية.

يهم بابتلاعه فيحجب علاء وجهه بذراعه استسلاماً للموت لكن قوائم الباز الكبيرة تغطي الكادر ليصبح كل شيء مغيباً ونرى المشهد يتضح بتشكيل آخر حيث وقف الباز على غصن شجرة كبير مطبقاً بفمه على الثعبان الميت.

يزيح علاء ذراعه عن وجهه فتضيئه أشعة الشمس ويشاهد الباز مازال واقفاً ينظر إليه ثم يلقي بجثة الثعبان جانباً ويمنح علاء نظرة حادة وقوية ثم يحلق عالياً.

يتفحص علاء سمسم الذي التصق في صدره منهار القوى بعد أن أغمي عليه وصار قطعة من جماد لا روح فيها.

يهزه علاء ثم ينهض وهو يضمه فنجد سمسم قد استبد به الضعف والوهن أكثر، يضمه علاء لصدره

وما إن يسير خارج السرداب بضع خطوات حتى نفاجأ بالباز ينقض عليه من مكانه ويصدر صوتاً خاصاً به ثم يدفعهما ليسقطا في جب عميق فنسمع صراخهما ونراهما من وجهة نظر الباز يدوران بشكل حلزوني في عمق الجب.

أثناء سقوط علاء وسمسم نرى جدران السرداب الصخرية مستوية وملساء... صدى صراخهما يملأ المكان حتى يغرقا في ظلام دامس ويقعا فوق أرض مليئة بالخيوط الذهبية أو الفضية التي كانت بمثابة أرض مريحة أعدت سلفاً لاستقبالهما.... الاثنان يقعان مغمياً عليهما... يسود السكون حولهما وأوبار من الخيطان تتناثر وتطير بخفة في الهواء متراقصة في الكادر.

فجأة نرى الباز وقد سبقهما وحط في مكان قريب منهما وكأنه سريع الاختفاء والظهور.

نقترب من وجه علاء وهو يفتح عينيه ويجول ببصره هنا وهناك فيرى خيوطاً ذهبية متدلية فوقه علقت في كل واحد منها يرقة من يرقات ديدان القز.

اليرقات تتراقص وتهتز من إثر سقوطه لتبدو كأنها قناديل ذهبية مضيئة تدلت من فراغ.

يحاول علاء أن ينهض ويرتفع بجسده قليلاً فيكتشف أنه في مكان سريالي غريب كل ما يميزه هو تشابك تلك الخيوط الذهبية والفضية فيه بأشكال رائعة، فالأشياء والإكسسوارات جميعها صنعت من خيوط متينة ملونة وأهم ما يميز تلك الأشياء وجود كرسي مصنوع من الخيوط الذهبية والفضية وضع بطريقة ملكية وكأنه عرش أو تحفة نفيسة وفي المنتصف بركة

ماء، حيث لون الماء فيها أقرب إلى اللون الفيروزي ، و على الجدران منحوتات تعبر عن أزمنة مغرقة في التاريخ وأخرى حديثة..

كل ما تقع عين علاء عليه كان يضيء ويلمع

لكن، ثمة نور باهر يظهر في العمق ويرمي ذيوله وأبعاده إلى حيث يقف ونرى سمسم يتخبط في شلة الخيوط التي التف بها كاليرقة وراح يحاول الفكاك من عقدها بسلاسة وبحركات بهلوانية تظهر رشاقتة العالية.

يراقب علاء النور المتوهج الذي يتضح شيئاً فشيئاً وينتابه شعور ممزوج من الخوف والدهشة تعبر عنه موسيقى خاصة.

ويقرر علاء أن يقترب ويدخل هالة النور تلك بخطى حذرة فيناديه سمسم محذراً:

سمسم : علاء... لا تذهب قد تواجه شيئاً خطيراً هناك.

لكن علاء لا يلتفت ويتابع حتى يدخل النور وسمسم يضرب رأسه.

سمسم : قضي الأمر... لن نعود أبداً.

يخترق علاء النور إلى أن يظهر له ذلك الشيء شجرة في غاية الروعة أغصانها من ذهب وجذعها من فضة وكأنها قاعدة لشمعدان أثري وتتدلى من أغصانها خيوط كثيرة راحت تقوم بغزلها ديدان القز بحركة متواصلة... فيشهق من شدة انبهاره بها.

يحط سمسم على كتفه وينتقل إليه الشعور نفسه، يشهق هو الآخر.

سمسم : ذهب خالص!!!

يقترب علاء من الشجرة وما إن يصلها حتى يمد يده ويلتقط ورقة ذهبية منها فتتحول إلى ذرات ذهبية خفيفة تتناثر من بين أصابعه.

يأخذ الفضول سمسم، يطير ويحط على أحد أغصانها فيتوهج ويتحد معه بالإضاءة ليصبح ذهبياً ويضيء مثل قنديل مشتعل ولكن بسرعة مذهلة تتحرك الخيطان لتلتف عليه وتكبله فيصرخ مستنجداً بعلاء.

سمسم : علاء انقذني

يسرع علاء لإنقاذه إلا أن أعداداً هائلة من الديدان تنهمر نحوهما كسيل جارف ما يدفعه للركض إلى الجهة التي قد أتى منها لكنه يفاجأ باندفاع الباز في وجهه وهبوطه على نتوء صخري بدا كقاعدة مناسبة لوقفته المهيبة والوقورة والقريبة من الكرسي الملكي المنسوج بالخيوط المتينة.

ينظر الباز إلى علاء نظرة قاسية وحادة فيقف الطفل جامداً في مكانه ويكون نور الشجرة خلفية له في العمق.

إلى جانب الباز ذراع ممتدة من الجدار، يمد منقاره ليمسكها ويشدها إلى الأسفل فتنفتح الأرض لتخرج منها مسننات تشكل سكة آتية من العمق، ونقترب من عيني علاء اللتين كانتا تمسحان المكان بقلق وملامح وجهه منقبضة وأصابع يديه متشنجة وجسده يرتجف.

يصدر الباز صوتاً يذهل سمسماً وعلاء، تدور المسننات فيما بينها محدثة صوتاً يشبه صوت الساعة تهتز له الأرض.

عربة تأتي من العمق في داخلها امرأة عجوز تشبه السلحفاة في ملامحها تتقدم حتى تصل إليه ، عندها يطير الباز متجهاً إلى العربة ويفتح الباب للعجوز احتراماً لمكانتها فتنزل بوقار وتكون لها قامة متوسطة الطول ووجه مليء بخطوط وتعاريج الزمن يبدو وجهها مخيفاً وحازماً للوهلة الأولى بحيث لا يمكن أخذ أي انطباع هادئ عنها. تومئ لطائر الباز بحركة رأسها تدل على الشكر فيعود إلى مكانه.

تتقدم باتجاه علاء المذهول بها.

العجوز : أهلاً أهلاً ، ها قد أتيت إذاً يا علاء ؟!

علاء : هل تعرفينني ؟؟!!

العجوز : أنا أعرفك، وأعرف عنك كل شيئ، ماذا تحب، وماذا تكره، أعرف ما الذي يشغل بالك، أعرف كيف أدبر أمره..

تطلق العجوز ضحكة مخنوقة تدل على المكر والدهاء تتجه إلى كرسيها وتجلس... الباز ينحني احتراماً لها ثم يعود إلى أنفته وكبريائه السابقين. هنا يضيء كل ما حولها بمشاعل أوقدتها وحملتها عدة ديدان من القز لها أشكال مختلفة ربما عن الديدان الأخريات وكأنهن وقفن لاستقبالها.

تستقر في مكانها المتوهج ونصبح أمام امرأة أخرى قد تبدلت ملامحها وبدت طيبة وأكثر ارتياحاً.. تغمض عينيها وكأنها تصلي وتهدأ لكن علاء المضطرب ينفجر سائلاً مرة أخرى:

علاء : من أنت... من تكونين ؟!

نقترب من وجه علاء المفعم بالاستغراب والدهشة...

العجوز : لا تخف يا عزيزي...

علاء : هيا قولي من أنت ومن هؤلاء الذين حولي... ؟!

العجوز : أنا عجوز طيبة وهؤلاء كلهم أصدقاء... إنهم ديدان قز رائعون... نحن جميعنا نحب الأطفال الأذكياء والطيبين مثلك... الأطفال الذين ليس لديهم وقت للانتظار... ومتشوقون دائماً لامتلاك خيط الحياة.... اهدأ أيها الصغير...

علاء يصدم بلهجتها ويعود إليه الخوف لكنه يداري ضعفه وارتباكه بلهجة قوية.

علاء : أنا.. أنا لست صغيراً أيتها العجوز

وهنا ترفع العجوز عصاها السحرية فيشتعل المكان كله وتتغير إضاءته ثم تظهر ديدان القز بأعداد لا حصر لها وهي تزحف على الجدران والأرض وتتحرك الديدان حاملات المشاعل لتتخذ أوضاعاً رائعة التشكيل حول علاء فتبدو وكأنها فرقة من فرق السيرك العالمي وتصنع دوائر منتظمة في رقصها فتنسج الخيوط بدأب ونشاط في كل مكان وزاوية..

وهنا تبدأ العجوز حوارها الغنائي مع علاء بطريقة موزونة، تتطور معزوفة أوبرالية يرافقها الكورال في حين يطير الباز من مكانه ويختفي ليحافظ على وقاره.

العجوز : أنا عجوز الزمن

عندي الجواب والأمل

وخبرة الحياة

ولكل المشكلات حل

كورال من الديدان والمخلوقات المضيئة يرددون نفس العبارات غناءً

الكورال : عجوز الزمن

العجوز : عندي الجواب والأمل

الكورال : وخبرة الحياة

العجوز : ولكل المشكلات حل

سمسم : (يرتجف من الخوف) **هيا، علاء**

يسكته علاء: هس اصمت... إذاً أنت تعرفين مشكلتي وتستطعين حلها.

العجوز : نعم وانتظرك منذ أخبرتني صديقتنا السلحفاة عنك

علاء بتلهف: أرجوك، ما الحل ؟

العجوز : خيط الحياة ة ة ة

هنا تتصاعد الموسيقى والعجوز تحث الجميع على الغناء ويضج المشهد بألوان ساحرة وحركات راقصة للجميع يغلب الإيقاع الراقص والاستعراضي على الأغنية.

العجوز : هيا يا صغاري هيا

نجمع خيط الحياة

هيا بخفة وروية

سمسم يندمج في الرقص والغناء أكثر.

الديدان تحيك الخيوط حول علاء الذي بدا مرتاحاً أكثر من السابق.

تتخذ العجوز وضعية من خلالها تمرر الديدان الخيوط حولها وتلفها لتصبح بكرات وكأن العجوز مغزل أو نقطة ارتكاز وهي تشرح لعلاء ماذا ستعطيه وآلية عمل الخيط والمدة التي استغرقت في صنعه والديدان يشاركنها الغناء أيضاً بمختلف أعمارهن.

العجوز : ناولني حنة ومرمر لا تسرع لا تتأخر

أهداب خيط الحياة حتى لا تتأثر

هاتوا خشباً للصندوق

من عطر الألوان

خشباً مصنوعاً من كل الأزمان

لا لا لا لا

سمسم يغني: خيط الزمن طويل جداً

علاء : خيط الزمن قصير

العجوز : خيط الحياة يقاس بما ننجزه ونحن نسير

ثم ترقص العجوز وكأنها تقدم اعلاناً لمنتج ما

العجوز : هل ترغب في أن يمضي بك الزمن سريعاً ليصبح زمناً خاصاً بك؟

هل تريد أن تستغل الحياة وتختصر المراحل الصعبة فيها ؟

إذاً إليك صندوق الزمن الذي يحوي في داخله خيط الحياةةةةةة

علاء يتابع ما تفعله العجوز وهي تغني مذهولة

العجوز : خيط الحياة

يتلاعب بالأيام

(تمسك العجوز بجهاز تحكم كالبلي ستيشن وهي تغني)

يقفز عنها بمهارة

بهدوء كالأحلام

يتجاوزها بإشارة

لا لا لا لا

يردد الكورال نفس العبارات وترافقه العجوز وهي تعزف على آلة تشبه البيانو

ثم تختم الأغنية بصوت العجوز وهي تقدم الصندوق السحري لعلاء

العجوز : خيط الحياةةةة

ما زال الطفل خائفاً منها ولكن الفضول يدفعه فيقترب منها بحذر ويمعن بما تحمله في يدها.

العجوز تعطيه الصندوق فيمد الطفل يده ويحمله وقد بهر بجماله وسحر بريقه.

علاء : يا له من صندوق جميل!

سمسم يحشر منقاره ويزرع رأسه تحت ذراع علاء ليشاهد الصندوق وهو في يده.

العجوز : خذه فهو لك، ولكن قف لحظة لا تسحبه... في داخل هذا الصندوق خيط حياتك، إياك أن تكثر من سحبه، فكل جزء صغير منه يعادل فترة من الزمن، ولن تستطيع أن تعيد ما سحبت منه إلى داخل الصندوق، كما أنك لن تقدر على إعادة الزمن إلى الوراء.

علاء : حسناً سأفعل أيتها العجوز الطيبة.

تعود وتخطف الصندوق من يده وتحذره

العجوز : ولكن احتفظ بهذا السر لنفسك واحذر أن تصارح به أحداً وإلا بطل مفعوله السحري معك وانتقل إلى الشخص الذي أفشيت له بسرك، فتعود إلى ما كنت عليه.

تعيده إليه ويحاول سمسم التقاطه بمنقاره فيفلت منه ويتلقفه علاء بلهفة وحرص مأسوراً ببريقه وسحره.

(هنا تنتهي الأغنية ويعود الحوار)

ويجيبها علاء بفرح طفولي...

علاء : حسناً لن أخبر به أحداً. يا إلهي ما أجمله ! إنه كرويّ خفيف.

تضحك العجوز وتربت على كتفه وكأنها تنصحه...

العجوز : أنت في مقتبل الحياة يا ولدي ولذا سيكون خيطك برّاقاً وساحراً ولكن مع مرور الزمن ستلحظ أن لونه سيتغير تدريجياً ويخف بريقه كما يتغير جسم الإنسان.

علاء يتأمله بسعادة كبيرة ونحن نقترب من ملامح وجهه...

علاء : خيط الحياة.. خيط الحياة. آه ما أحلى أن يمر الزمان سريعاً كي أصبح شاباً.

نرى كرة ذهبية من الخيوط تنتقل من دودة لأخرى إلى يد العجوز التي تضعها في علبة خاصة وتحكم إغلاقها وتقدمها لعلاء بعد أن أعطته سر الخيط .

علاء يمسك بالصندوق وهو ما زال مبهوراً به بشدة.

ينتهي المشهد والصندوق بيد علاء وهو في غاية السعادة والاندهاش.













أول يوم لعلاء بعد امتلاكه خيط الحياة نراه يغسل وجهه من ماء البحرة في ساحة الدار ويتأمل صورة وجهه وهي تتراقص على سطح الماء ثم يدس رأسه من جديد في الماء وسريعاً يخرجه ليستنشق المزيد من الأوكسجين ثم يجلس على حافة البحيرة ويشرد فيأتيه صوت أمه من الداخل.

أم علاء : علاء !! هيا إلى العشاء

ينهض إلى غرفة المعيشة وهو مسلوب الارادة بينما راحت كل من البقرة والسلحفاة تراقبانه من جهة الحظيرة المطلة على ساحة المنزل.

البقرة : ترى هل سيحسن التصرف بعد أن صار الصندوق في حوزته ؟!..

تبتسم السلحفاة وتهز رأسها بنعم مُطَمْئِنة إياها.

* * *

نشاهد أطباقاً من الطعام موضوعة على قرص من القش (زيتون، بيض، خبز، خضار، حليب، مكدوس)، أم علاء تتأمل علاء الذي بدا شارداً في أمر لم تفهمه. لهيب النار في قنديل معلق على الجدار يتراقص فوقهما ليضفي على الغرفة جواً جميلاً من الظلال والألوان، يمسك علاء بيده زيتونة لكنه لا يأكلها .

أم علاء : لماذا لا تأكل ؟؟!

علاء : إنني آكل.

أم علاء : أمازلت متأثراً بما حدث معك اليوم ؟.

ينتفض علاء ويتنبه وقد ظن بأنها علمت حقيقة ما جرى له مع عجوز الزمن.

علاء : وهل علمت ؟!

أم علاء : نور أخبرتني... شجارك مع عبيدة لا يمنعك من الذهاب إلى الكتاب...

وهنا يتنفس الصعداء.

أم علاء : أستغرب علاقتك بعبيدة... لقد كان أبوك ووالده من أعز الأصدقاء.

علاء لا يعلق حيث أنه ما زال تحت تأثير ما جرى له مع عجوز الزمن.

تتابع الأم محاولة جذبه لحديثها.

أم علاء : كان هذا يوم هاجم أبو عبيدة ثلاثة لصوص وحاولوا قتله وسلب نقوده.. حينها سمع أبوك استغاثته فامتطى حصانه وسارع لإنقاذه..... انقض عليهم وراح يقارع سيوفهم بجذع شجرة فأفزع خيولهم وأصاب أحدهم بضربة مبرحة على رأسه ففروا خائفين منهزمين.

علاء : هل كان أبي ضخماً؟؟

أم علاء : لا، لم يكن ضخماَ بل كان قوي البنية ويتقن فنون القتال.

علاء : هل كان يحمل سلاحاً؟

أم علاء : لا، لم يحمله إلا في المعركة التي استشهد فيها (تتحدث إلى نفسها) رحمك الله يا أشجع الفرسان (إلى علاء) لو لم تكتب له الشهادة لكان بيننا الآن.

تتنهد بحرقة وتنقبض ملامحها. تنزل دموعها وتسعل

علاء : أمي.. أنت متعبة...وجهك شاحب .

يقترب ويحنو عليها.

أم علاء : لا عليك، سأكون على ما يرام.

تربت على كتفه بحنان وهي تسعل عدة مرات.

* * *

القمر يضيء كل شيء وعلاء في فراشه يسرح في نظره عبر نافذته الصغيرة. يخرج صندوقه الذي خبأه بحرص في صدره فيلمع ويتوهج. يتأمل بريق خيطه الذهبي الذي تدلى جزء منه. يتذكر وجه العجوز. يعيد الصندوق إلى صدره ونعود إلى وجهه بعد أن انطفأ بريق الصندوق، فنراه يغمض عينيه.

* * *

صوت الديك يصدح بقوة ونرى أم علاء هذا الصباح متعبة وشاحبة الوجه وهي تقوم بطي بعض الأثواب، يخرج علاء من غرفته معلناً لها عن احتجاجه...

علاء : هل أنت ذاهبة إلى متجر أبي عبيدة ؟

أم علاء : لماذا تسأل ؟!

علاء : لأني أريد منك أن تتركي هذا العمل...

ينقبض وجه أم علاء من شدة الألم الذي داهمها وهي تحمل العباءات

أم علاء : عدت لهذا... أنصرف إلى غايتك الآن.

تلتفت لتحمل بقية السلال، وعلاء في العمق ينظر إليها وهو مستاء وغير راض عن ذهابها، يتلمس الصندوقَ في جيبه، ويهم بإخراجه، تلتفت الأم إليه فيخفيه بسرعة.

أم علاء : لا، تنسَ أن تأخذ البيض معك إلى الشيخ جابر..

يطرق علاء رأسه باستسلام ويخرج ليمشي وسلة البيض في يده يرافقه صديقه سمسم كعادته.

سمسم : جرب أن تسحب الخيط مرة واحدة فقط ؟.

علاء : لا، ليس الآن.

ترمى حصاة على السلة فتنكسر بيضة ويسيل منها السائل اللزج.. يتوقف علاء وقد فوجئ بالأمر

علاء : ما هذا... ؟

يتلفت علاء حوله.... حصاة أخرى ترمى وتضرب بيضة أخرى

علاء : ما الذي يحدث... ؟!

يسمع ضحكات عبيدة وهو يقفز من شجرة عالية بحركة بهلوانية حاملاً (نقيفة) صغيرة بيده أخذ يمطها ويلهو بها وهو يضحك.

عبيدة : هذا أنا ؟؟!...

يغتاظ علاء

عبيدة : ما رأيك بدقتي في التسديد على الأهداف .

يستمر عبيدة في الضحك و هنا يضع علاء يده على الصندوق محاولاَ إخراجه من جيبه ثم سرعان ما يغير رأيه.

عبيدة : هيا تعال ..... ألا تريد الإمساك بي ... هيا......

عبيدة يركض نحوه، لكن علاء لا يبدي اهتماماً به، بل يتركه ويمشي باتجاه معاكس... ينظر عبيدة للخلف وقد أصبح بعيداً...... يقف ليفاجأ بردة فعل علاء الذي غاب في العمق.

عبيدة : علاء!!.... إلى أين؟؟.... ألن تذهب إلى الكتاب؟.... علاء!!...

علاء غير مبالٍ يتابع طريقه دون أن ينظر إليه فيحبط.

تبدأ أغنية يؤديها علاء

علاء : كنهر يجرف الأحجار والأشجار

لا يقف

أعيش الآن

وأهدافي أحققها وقلبي

ليس يرتجف

من الأحزان

حيوانات : تمد يداً إلى الزمن

وتسبقه كما ترغب

حطاب : ربّ عجلة أورثت ريثاً

موسيقى

سمسم : تعال ولا تضع وقتاً

مع الغرباء

وعش دوماً كما الأمراء

حيوانات : وقل بلباقة ما شئت

واختر أجمل الكلمات

سمسم : وحافظ مثل آبائي

على العادات

ففي أسلوبك الراقي

ستبلغ أكبر الغايات

علاء : أمدّ يدي إلى الزمن

وأسبقه كما أرغب

كأن الخوف لم يكن

كأني لم أكن أتعب

أحلّق مثل بازي بحرية

وأحلامي كأيامي حقيقية

أحد الحيوانات : وتكبر تصبح الأقوى

فلا تندم

تواجه كل ما يأتي

فلا تهزم

حيوان حكيم : على الآفاق تمتدّ

ظلال الفرحة الكبرى

وأعدو واثقاً أعدو

وأمحو الهمّ و القهرا

علاء يلهو مع سمسم في أجواء خيالية، والأغنية تتحدث عن حلمه الذي سيتحقق بامتلاكه للخيط فهو الآن يستطيع أن يكبر بلمح البصر.

في نهاية الأغنية يدخل علاء وسمسم الدار فرحين ومع توقف الموسيقى يسمع صوت الباب يفتح..... تدخل الأم... تمشي خطوتين غير متوازنتين.... تسقط أرضاً، يسرع علاء إليها

علاء : أمي !!.... أمي!!.





الجو بارد في الخارج والرياح تعصف بقوة وفي الداخل حيث كان علاء يضع الكمّادات الباردة على جبين أمه الذي يتصبب عرقاً إثر إصابتها بحمى شديدة.... جسدها يرتجف تحت الغطاء..... سمسم يراقبهما بقلق من خلف زجاج النافذة....

علاء : أمي !!...

يقبل رأسها، أم علاء تجيب وشفتاها ترتجفان وأسنانها تصطك...

أم علاء : أم.. آه.. لا عليك يا ولدي.. سأشفى إن شاء الله... آه

يمسك يدها

علاء : .. ما زالت حرارتك مرتفعة..

أم علاء : أم.. آه... إنها الحمى...

يرفع علاء رأسه إلى الأعلى وهو يبكي.

علاء : أنقذها يا الله...

أم علاء تصرخ من الألم :

أم علاء : آه.....

وهنا ينهض علاء، ويخرج بسرعة إلى ساحة الدار...

يندفع علاء للخارج، ويكون الطقس بارداً والقمر محجوباً بالغيوم، كما تعصف الرياح بقوة... كل الحيوانات تقف أمام باب الحظيرة تراقب ما يجري بخوف...

السلحفاة : إلى أين يا علاء

علاء : سأحضر طبيب القرية

البقرة : كيف....؟ الآن.......؟

علاء : .. أخشى أن يحدث لها مكروه لو انتظرت حتى الصباح...

يركض خارج الدار وفوقه يطير سمسم...

تعصف الرياح وتقتلع في طريقها أغصاناً وتنثر أوراق الأشجار محدثة حالة مخيفة.... كل شيء يتطاير. يرتجف علاء من شدة البرد ويكاد يفقد توازنه من سرعة وشدة العاصفة.

يحاول سمسم جاهداً أن يبقى معه لكن الهواء يدفعه للخلف ويمنعه عن الطيران في الاتجاه الذي يريد.... فيرتطم بالجدار ويمسك بطرف الباب بقوة كي لا يصيبه أذى، علاء لا ينتبه لما جرى لسمسم... بل يتابع التقدم إلى الأمام، أصوات حفيف الأشجار تشتد وكذلك عتمة الليل.

صفير ورجع أصوات مخيفة آتية من كل مكان.... ظلال الأشجار تبدو كمخالب تريد التقاطه... وعلاء خائف ومضطرب.

تمتد يده المرتعشة إلى جيبه ويخرج منه الصندوق... يقرر أن يسحب الخيط... تزداد الأصوات المخيفة ويعلو عويل الرياح، فتنقبض ملامح الطفل... يسحب الخيط.... وتكون تلك أول مرة يفعلها.

مع سحب الخيط يظهر الباز ليلف علاء ويدور معه بشكل حلزوني ثم يتوقف عن الدوران ويبتعد الباز فيظهر علاء بشكل آخر حيث كبر وأصبح شاباً يافعاً وجميلاً يجلس على كرسي في متجر العم مرزوق، وكل ما حوله ثابت لا يتحرك.

يتلاشى اللون الذهبي الذي يحيط بعلاء وتصبح الألوان واقعية ويتحرك كل شيء في المكان من باعة ومارة... الخ.

فيجد علاء نفسه بعد سحب الخيط نهاراً في متجر العم مرزوق الذي يمد يده ليعطيه مالاً وعلاء يبدو مسلوباً تماماً وما زال تحت تأثير حالة

الانتقال السريع بعد أن أصبح شاباً في الخامسة عشرة من عمره وقد بدت ملامحه أكثر نضجاً ووسامة، في حين ظهر على العم مرزوق الكبر والهرم.

أبو عبيدة : .. خذ...

(علاء ينظر إليه دون أن يمد يده فيستغرب أبو عبيدة) .

أبو عبيدة : ما بك يا علاء ألا يعجبك أجرك.

علاء : أجري ؟ أه.... لا... لا... إنه يعجبني.

يأخذ علاء المال ويتأمل المتجر الذي بدا له مختلفاً عن ذي قبل فهو الآن أكثر فخامة وغنى بالبضائع والأثواب وأكثر تنوعاً بالأقمشة وبطرق عرضها على الرفوف وفي الواجهة.

يقع بصره على عبيدة الذي كان وقف في العمق وأمامه كومة من القماش راح يقيس طولها بواسطة عصا خشبية وقد أصبح شاباً هو الآخر في الثامنة عشرة من عمره.

عبيدة راح يراقب علاء وينصت إلى الحوار الذي يدور بينه وبين أبيه.

أبو عبيدة : حسناً سأزيده لك حين تنهي سنةً في العمل... و الآن إذا أردت الانصراف فافعل يكفيك عمل هذا اليوم.

علاء يستجب له وينهض ليغادر المتجر مدهوشاً، فيعقب عبيدة بعد خروجه وهو يرتب الأقمشة

عبيدة : ليتك يا أبي تعاملني مثله... فأجري لم يزد منذ زمن طويل!.

أبو عبيدة : هه.. أحمد الله على أنه لم ينقص.. ابذل نصف جهده ونشاطه وخذ ضعف أجره..

عبيدة يمتعض ويشعر بالغيظ من علاء أكثر.



* * *

يمشي علاء في السوق مذهولاً يتأمل المارة باستغراب محاولاً تفسير ما حصل له، يتوقف عند محل يبيع القدور النحاسية فيرى وجهه على آنية نحاسية... يتلمسه مستغرباً ثم يركض مبتعداً، نجد المغني الأعمى يعزف على الربابة وقد كبر في السن.... لا يزال يغني ذات الموال وأمامه قدر صغير للنقود....

حتى سمسم بدا أكبر سناً وهو يراقب الطريق متكئاً على غصن شجرة ينتظر قدوم علاء الذي ظهر له من بعيد وما إن يراه حتى يبتهج و يطير إليه.... علاء يركض وسمسم يصل إليه لكن علاء لا يراه أو بالأحرى لا ينتبه له.

سمسم : علاء.. علاء !!!!

يتوقف علاء مستغرباً ومحاولاً تذكر الصوت.

علاء : سمسم؟! لولا صوتك ما عرفتك..؟! كيف حال أمي؟ هل شفيت؟.

يزداد استغراب سمسم .

سمسم : أمك ؟!... إنها بخير...؟!.

وهنا يتركه علاء ويندفع راكضاً فيستغرب سمسم حالته ويفكر محاولاً إدراك ما حدث لعلاء.

سمسم : غريب أمره ؟!(ثم يستنتج) آه.. إنه مفعول الخيط !.

يصفق بجناحيه أكثر ويلحق بصديقه.

يركض علاء متلهفاً نحو بيته، يعبر ساحة الدار فيرى في العمق أمه وقد جلست تتابع عملها في التطريز.. يبطئ خطاه نحوها فنراها من وجهة نظره قد بدت أكبر مما عرفناها سابقاً لكن صحتها ما تزال جيدة حيث كانت تعمل بمتعة في ثوب كان بيدها وتقطع خيطاً لتضم آخر من جديد.

يغمض علاء عينيه براحة ثم يفتحهما بعد سماعه صوت ارتطام شيء في الحظيرة فينظر تجاهه ويكون سمسم قد أصبح قريباً منه وهنا يتذكر علاء أصدقاءه الحيوانات فيتحرك نحوهم ونرى سمسم قد انتابه قلق من اكتشاف صديق لحقيقة ما...

يدخل علاء الحظيرة وخلفه سمسم فيرى خمَّ الدجاج خالياً من أي أثر والأعشاش بدت مهجورة تماماً.. يجول ببصره باحثاً في كل مكان فيرى بيت البقرة خالياً منها لكن لا يبدو عليه أنه قد هجر كما حدث لبيت الدجاجات.

علاء يخطف نظرة إلى بيت السلحفاة التي خرجت من تحت كومة قش وراحت تزحف نحوه ببطء لكن لم يتغير فيها شيء سوى ألوان قوقعتها التي بدت داكنة أكثر من السابق، وهنا يسألها بصوت مضطرب.

علاء : أين الديك والدجاجات ؟؟!!

تنظر السلحفاة إلى سمسم فتفهم أن علاء لم يفهم تأثير الصندوق وآلية مفعوله بعد.

يطأطئ سمسم رأسه حزناً وأسفاً.....

السلحفاة : ماتوا جميعاً.. فكما تعلم عمر الدجاج قصير.

يصدم علاء وتملأ عينيه الدموع وهو يقترب من الخم ويجلس مقابله.

أصابعه تعبث في الأعشاش المهجورة ويستحضر أصواتها فتنهمر دموعه.

أما سمسم فيستسلم لبكاء صامت عدا السلحفاة التي بدت أكثر تماسكاً رغم الحزن الذي يسكن ملامحها، تقترب من أصابع علاء وتربت عليها.

السلحفاة : حزنك عليهم لن يغير شيئاً... الموت سنة الحياة.

يجهش بالبكاء وينظر إلى مكان البقرة

علاء : أين البقرة.. ؟!

السلحفاة : لم تستطع أمك دفع أجر مداواتها فأرسلتها إلى والد نور كي يعتني بها ريثما تشفى من مرضها.

وهنا ينهض علاء ويخرج من الحظيرة ليدخل إلى حيث كانت تجلس أمه.

يدفع باب غرفة المعيشة بقوة فتستغرب أمه تصرفه.

أم علاء : هاه ؟!!

علاء : أمي، أريد استرجاع البقرة ومداواتها.

يخرج من جيبه النقود التي أعطاه إياها مرزوق.

علاء : لدي النقود الكافية لذلك.

أم علاء : لا حول ولا قوة إلا بالله.... عدت إلى القصة نفسها.. أجرك هذا لن يكفي نصف ثمن علاجها.

وهنا نرى صبية حلوة تدخل إليهما وهي تجر بقرة هرمة.

نور : مرحباً يا خالة.

تظهر الفرحة على وجه أم علاء وتنقلب ملامحها إلى سرور ويفاجأ علاء بالفتاة التي لم يتعرف إليها بعد.

أم علاء : أهلاً بنور.. أهلاً بالصبية الحلوة..

يفاجأ علاء باسم نور التي تترك البقرة في الخارج وتقترب منه .

سمسم ينطلق مستقبلاً البقرة التي راحت تطلق أصواتاً تعبر عن احتفائها به وبعلاء.

تتأمل نور علاء بحب وتقول دون أن تبعد نظرها عنه.

نور : تماثلت للشفاء وصار حالها أفضل فجئت بها.

أم علاء تلقي من يدها الثوب وتندفع فتظهر من خلف علاء الذي مازال ذاهلاً كالأبله يتأمل نور وهو ما بين التذكر والإعجاب.

أم علاء : سلمت يداك يا نور...

تنكز علاء بكتفها ليقول شيئاً.

أم علاء : ألا تلقي التحية؟ ما بك ؟!!.

تطرق نور رأسها خجلاً وتمد يدها لمصافحته. لكن علاء يفاجئها بردة فعل مضحكة إذ يهرع إلى البقرة ويعانقها.

البقرة تشمه وكأنه عجلها الصغير وسمسم يطير فوقهما ويصفق بجناحيه.

نور تحبط عندما ترى اهتمامه قد انصب على شيء آخر دونها فتنتفض منزعجة وتتراجع قليلاً وأم علاء ترتبك وتحاول مداراة الموقف.

نور : أراكم بخير... إلى اللقاء

أم علاء : أبقي يا نور معنا حتى الغداء..

نور : شكراً خالة أهلي في انتظاري

تترك نور المكان راكضة وعلاء يستغرب تصرفها والأم تحزن لأجلها.

(علاء : ما بها ؟)

أم علاء بعصبية وغيظ مكتوم.

أم علاء : وتسأل أيضاً... هيا خذ البقرة إلى الحظيرة.

علاء يجر بقرته التي أسرعت الخطى نحو صديقتها السلحفاة بعد أن اشتاقت لها ونرى السلحفاة قد وقفت في العمق استعداداً لاستقبالها.



* * *

نور تمشي في الطريق وقد جرح شعورها من تصرف علاء وردة فعله الباردة تجاهها.

يظهر لها عبيدة ممتطياً جواده ويسرع حتى يصل إلى محاذاتها.

عبيدة : أراك عائدة من بيت علاء؟! أكانت زيارة له أم لأمه... ؟

نور : لا شأن لك بهذا...

عبيدة : لا أفهم ما الذي يعجبك بذلك الولد...

لا تجيبه وتحث خطاها لكنه يعترض طريقها مرة ثانية ويدور حولها.... فتنحني وتلتقط حجراً صغيراً وترميه به فيفزع الحصان ويكاد يسقط عبيدة عن ظهره لكنه يحاول تهدئته وامتلاك زمامه في حين تكون نور قد ابتعدت عنهما كثيراً.

عبيدة : سأحطم كبرياءك يا نور..

يشد سرج حصانه وينطلق به.

* * *

سمسم يرفرف عائداً من مشواره ويحط فوق البرميل لكنه كالعادة يرتطم بشيء ما فيقع على الأرض فوق ظهر السلحفاة التي تختبئ ثم تخرج رأسها بحذر فينهض عنها سمسم وهو يتمتم

سمسم : حذرتك ألف مرة بأن لا تعبري في طريقي في أثناء هبوطي.

السلحفاة : أي طريق تلك وأنت تهبط كالأرعن... هل تظن نفسك ما زلت رشيقاً كالسابق ؟ لقد أصبحت كبيراً..

سمسم يجيب بلهجة لا تخلو من الاحتجاج

سمسم : كلنا كبرنا.

تجيب البقرة من مكانها وهي ممددة تستمع لهما وهي نصف نائمة ونلحظ بأن الشيب غطى قسماً من رأسها وظهر عليها الضعف والهرم.

البقرة : من الذي كبر ؟! أيها الديك الفصيح ؟

سمسم يفاجأ بقولها وتبدو عليه الدهشة بشكل مضحك

سمسم : ديك ؟!!

تهمس له السلحفاة موضحة

السلحفاة : إنه الخرف يا صديقي ألم تسمع بمرض الخرف...

سمسم ينظر بحزن إلى البقرة التي استسلمت لنوم عميق..

* * *

أمام دار علاء حيث تكون مصطبة من الحجر وعليها بساط، طبق من القش وفوقه قماشة بيضاء وعليها نعناع مقطوف، يجلس علاء قرب كومة من

الحطب المشتعل يحمل إبريق شاي ويصب منه في كوب من الفخار، ثم يتناول ورقة نعناع ويضعها في الكأس.... تأتي الأم من باب الدار حاملة معها حزمة نعناع خضراء.

أم علاء : هل نامت البقرة ؟.

علاء يهز رأسه بنعم... تجلس الأم إلى جانبه متربعة على الأرض وتضع طبق القش في حجرها، وتبدأ بقطف أوراق النعناع....

أم علاء : منذ أربعة شهور و أنت تعمل ولم تدخر من أجرك شيئاَ.

علاء (باستغراب) **: ولماذا أدخر ؟.**

أم علاء (تستغرب سؤاله) **: هاه... لأنك أصبحت شاباً في سن الزواج.**

علاء : الزواج ؟؟!

أم علاء : نعم الزواج وما الغريب في الأمر..... منذ مدة وأنا ألحظ اهتمامك بنور... واهتمامها بك.

علاء : نور تهتم بي ؟!

أم علاء : كل تصرفاتها تدل على ذلك....

تنظر له فتراه مهتماً بالحديث

أم علاء : نور فتاة جميلة.. والشبان الراغبون في الزواج بها قد أصبحوا كثراً.. وربما يسبقك أحدهم لخطبتها إن لم تسرع في طلب يدها...

علاء : أتمنى أن أفعل لكني لا أملك مالاً للزواج بها !!.

أم علاء : لذا عليك ادخار المال ومضاعفة الجهد في العمل ليل نهار...

يهز علاء رأسه موافقاَ والأم تتحدث وكأنها تحلم.

أم علاء : يا الله ما أجمل أن يأتي يوم أراك فيه أباً وأولادك يلعبون حولي..!!



* * *

علاء منهمك في ترتيب الأثواب.... يدخل أبو عبيدة مع ابنه.

أبو عبيدة : السلام عليكم.

علاء : وعليكم السلام.

أبو عبيدة : هل تأخرنا ؟.

علاء : لا عليك يا عم.

أبو عبيدة : هل أتى أبو محمود ؟

علاء : نعم وسلمته بضاعته... وعرضت عليه العباءة السوداء.

(ينظر أبو عبيدة مستفسراً) ..

علاء : تلك ذات التطريز الفضي فأعجبته وطلب ثلاثين قطعة منها.

أبو عبيدة : أحسنت يا علاء..... إن بقيت على هذا النشاط فسوف تصبح تاجراً ماهراً.

يغتاظ عبيدة، ويتابع علاء ترتيب أثواب القماش.

عبيدة : أتعلم أين كنا ؟

علاء : لا

عبيدة : كنا نخطب نور..

يرتبك علاء ويقع ومعه الأثواب فيتدحرج من جيبه الصندوق ويلمع طرف الخيط الذي يشاهده عبيدة.

عبيدة : ما الذي تخفيه في جيبك.

علاء : لا شيء.

يخطف الصندوق ويدسه في جيبه.

عبيدة : أبي، علاء سرق مالاً...!

أبو عبيدة : ما الذي تقوله يا عبيدة ؟

عبيدة : أقسم لك أني شاهدت صرةً من الدراهم الذهبية في جيبه.

أبو عبيدة ينظر إلى علاء مشككاً.

علاء : لا تصدقه يا عم

عبيدة : اخرج ما في جيبك إذاَ.

علاء : لا أسمح لك أن تتهمني بالسرقة.

أبو عبيدة : اهدأا... علاء دعه يرَ ما في جيبك لتبعد عنك التهمة.

يرتبك علاء، ويندهش العم مرزوق من ردة فعله، وهنا يستغل عبيدة ذلك ويتقدم نحو علاء....

عبيدة : هيا أخرج الدراهم التي في جيبك.

يدفعه علاء ويهرب خارج المتجر.

يركض باتجاه بيته وسمسم يطير فوقه فيلتقيان بنور خارجة من الدار تحمل صرة.

يصل علاء إليها وهو يلهث ليلتقط أنفاسه فتبتسم لرؤيته.

(ملاحظة يجب أن يعطي علاء الصندوق لسمسم ليخفيه بين جناحيه وعندما تأتي الشرطة سمسم يبتعد).

علاء : كيف حالك يا نور ؟

نور : لا بأس... بخير.

علاء : هل صحيح أن عبيدة طلب يدك ؟!.

من بعيد يظهر رجلان يمتطيان حصانين ويتجهان بسرعة نحو علاء ونور...

نور : نعم جاء مع والده وتغديا عندنا

علاء : أنا لا أصدق.....

نور : بل يجب أن تصدق... لأن عبيدة يخشى أن يخطبني أحد غيره فأسرع في طلب يدي.

وهنا ينظر علاء في عينيها بخوف.

علاء : وهل قبلت به...؟

تصمت

يصل رجلا الشرطة إليهما ويقطعان حديثهما.

شرطي١ : هل أنت علاء ؟

علاء : نعم أنا!!

شرطي١ : تعال معنا

أحدهما ينتشل علاء ويضعه فوق حصانه ويثبته جيداً.

علاء : لماذا ؟ !

نور : لماذا تأخذانه..؟!!

شرطي٢ : إنه متهم بالسرقة.

علاء : لا، أنا لست بسارق !!

شرطي١ : قل هذا لصاحب الشرطة.

ثم يضرب فرسه لتنطلق...

نور تركض خلفهم

نور : علاء... علاء... لقد رفضت عبيدة ووالدي لن يغصبني على مالا أريد.

علاء : (من بعيد) وهل ستقبلين بي زوجاً ؟

تتوقف نور عن الجري .

علاء (متباعداً) : **هل ستقبلين بي زوجاً ؟**

نور : نعم إذا تقدمت لخطبتي سأقبل بك.

* * *

يلقي السجان بعلاء بقوة في داخل غرفة مظلمة، فيقع على الأرض.

السجان : ستبقى هنا حتى تخبرنا أين أخفيت قطع النقود المسروقة.

علاء لا يجيب والحارس يغلق باب السجن بقوة فتغطي الظلمة المكان ولا يبقى إلا بصيص من النور يأتي بعد أن ينحسر ظل الحارس عن وجه علاء وجسمه فينكشف لنا بعضٌ منه ومن زوايا الغرفة الرطبة، ونرى خيال سمسم وهو يحط على حافة النافذة العلوية من خلف القضبان ممسكاً بها بجناحيه وكأنه يريد اقتلاعها. يطلق صوتاً يعبر عن حزنه.

سمسم : تشجع يا علاء.. لا تخف....اصبر لا بد أن تظهر الحقيقة.

علاء يرفع رأسه نحوه.

علاء : أين الصندوق ؟

سمسم : لا تقلق، ما زال معي.

يخرجه من بين جناحيه فيتوهج ويضيء أجزاءً من المكان ويبتهج علاء لرؤيته.

علاء : هيا، ارمه إلي بسرعة... قبل أن يأتي قائد الشرطة ويحقق معي.

سمسم : فليأت... أنت بريء ممَ تخاف؟!.

علاء : لن أصبر كل هذا الوقت حتى ينتهي التحقيق .. هيا اقذفه إلي.

سمسم : حسناَ التقطه جيداً.. خذ.

يرمي به إليه فيتدحرج في الهواء.

يلتقطه علاء ويسحب الخيط فينقلب كل شيء حوله، وسمسم يطير مبتعداً عن النافذة وتتمازج الألوان ونصبح في عوالم المشهد التالي:

* * *

يجد علاء نفسه أمام بيته ومعه فردتي حذاء صغيرتين، يهم بالدخول فيسمع أصواتاً، يتوقف فجأة وينصت...

صوت نور : زين... هيا تعال... إلى متى ستبقى وحدك في الحظيرة؟! .

ينظر علاء من شقوق السور الخارجي... يستغرب...ثم يدخل متسللاً إلى ساحة البيت بخطى حذرة وكأنه غريب.

تخرج نور وهي تحمل طفلة رضيعة تحاول إسكاتها.

علاء يتأمل شكل نور التي كبرت وأصبحت امرأة في الخامسة والعشرين.

تلتفت إليه وتسأله:

نور : عدت يا علاء؟ أتمنى أنك لم تنس شراء الحذاء..

علاء يرتبك، ينظر للحذاء الذي بيده ولا يعرف ماذا يجيبها

نور : زين حاف القدمين منذ الصباح.

علاء : زين ؟!

نور تزفر بتذمر

نور : إنه في الحظيرة.... ألبسه الحذاء ريثما أحمم تيماء.

تتركه وتدخل.

ينظر علاء باتجاه الحظيرة فيلمح قبعة بيضاء صغيرة تتحرك خلف أكوام القش أو ربما أغراض قديمة مركونة هناك فيتحرك نحوها وهنا يظهر سمسم محلقاً وقد بدا عليه الكبر هو الآخر وراح يرفرف أمام وجه علاء بحركات ثقيلة مستقبلاً إياه كعادته.

سمسم : هل أحضرت لي طعامي المفضل؟

لكن علاء يتجاهله ويشيح وجهه عنه ويمضي إلى الحظيرة.

يفاجأ سمسم بردة فعله ويشعر بالخزي.

يدخل علاء الحظيرة يتلفت حوله مستغرباً حيث لا وجود لأي من حيواناته.... ينظر لزاوية الحظيرة فيرى طفلاً في الخامسة من عمره يجلس قريباً من بيت البقرة الفارغ يلبس لباساً أبيضَ ويضع طاقية مطرزة على رأسه.

يدلف علاء منه ويتأمل وجهه الطفولي الرائع فينضح الحنان من عينيه لكن الطفل ينظر إليه دون أن يستغرب وجوده.

يجلس الأب إلى جانب طفله ويتأمله بفرح ويمعن به من رأسه وحتى أخمص قدميه، ثم يأخذ الحذاء ويلبسه إياه.

علاء : ما بك يا زين ؟!

زين لا يجيب.

علاء : هل أعجبك ؟

يبقى صامتاً... فيحضنه علاء بين ذراعيه...

علاء : ... ما الذي يشغلك ؟.

زين : أبي... أين ذهب يوم البارحة ؟!!!

علاء : البارحة ؟!!!.

زين : قالت لي جدتي بأن اليوم الذي يذهب لا يمكن أن يعود ثانية ؟؟

علاء : أه... أه... جدتك... معها حق... لكن لماذا تريد عودة البارحة ؟

زين : لأن الأيام التي تذهب... تأخذ معها الأصدقاء.

علاء : الأصدقاء.؟!

زين : نعم... في الأمس كانت معنا البقرة... أما اليوم فلا .... أنا حزين لموتها.

علاء يعانق زين بشدة وتدمع عيناه فتدخل هنا أم علاء وقد أصبحت عجوزاً كبيرة السن تحمل تيماء التي كانت في ملابس خفيفة استعداداً للاستحمام.

أم علاء : علاء، اسمع... تيماء بدأت تقول أبي.

تيماء : با بابا.. بي بي بي

وهي تمد يديها الصغيرتين باتجاه والدها المذهول بما يحدث له بعد سحب الخيط.

* * *

سمسم يقف على حافة النافذة ومن وجهة نظره نرصد ما يدور في الداخل حيث كانت نور تهز طفلتها في المهد وأم علاء تناول علاء صندوقاً خشبياً.

أم علاء: إليك يا علاء النقود التي ادخرتها لك.. وما عليك إلا أن تزيدها لتشتري متجراً صغيراً يا ولدي.

علاء يأخذ منها الصندوق.

علاء: لكن يا أمي هذه الدراهم لك حصة منها ؟

أم علاء : لم يعد لي ما أملكه ما دمت قد أصبحت كبيراً ومسؤولاً عني.. هيا خذ النقود واقصد بها وجه ربك الكريم...

وهنا نرافق سمسم وهو يطير إلى الحظيرة حيث جلست السلحفاة وحيدة في ركنها الدافئ.

يهبط سمسم قربها.

السلحفاة : لم أر علاء سعيداً كهذا اليوم.

سمسم : ولم لا يسعد وقد أصبحت لديه أسرة يعيش من أجلها وطفلان يهتم بهما.. إنه ينشغل عني.

سمسم يرمي شيئاً ما أمامه بنزق.

سمسم : هذا الخيط اللعين... كم بت أتشاءم من وجوده بين يديه...

السلحفاة : أراك منزعجاً..؟

سمسم : لأني ما زلت أعيش وحيداً حتى هذا اليوم... ولذا قررت الرحيل.

السلحفاة تطرق رأسها بيأس وفجأة ينتبه الاثنان إلى دخول علاء إلى الحظيرة فيصمتان ويراقبانه وهو يخرج الصندوق السحري من جيبه ويتمتم..

علاء : لدي النقود وما علي سوى أن أطمح لامتلاك متجر..

ينظر سمسم إلى السلحفاة ويومي لها بحركة من رأسه أن علاء سيشد الخيط

علاء يرفع الصندوق ويتأمله بعينين طامحتين

علاء : ما دام ذلك الكنز معي فلن أتحمل عناء الانتظار...

وهنا يستعد سمسم والسلحفاة لتجاوز الزمن، وعلاء يشد الخيط فتنقلب الدنيا وتموج به.

فيجد نفسه في المقبرة فاتحاً يديه يختم سورة الفاتحة والدموع تنهمر من عينيه...

ينهي تلاوته ويمسح دموعه... يقرأ ما كتب على شاهدة القبر وهنا يصاب بالهلع.

علاء : قبر أمي ؟!! آه... رحمك الله يا أمي...

(يشهق ويلطم على وجهه).

علاء : تبت يداي ماذا فعلت... لقد تعجلت الزمن لأكسب المتجر لكني خسرتك يا أمي... (يجهش بالبكاء) وأسفاه على الدنيا من بعدك يا غالية... والله لن أسحب هذا الخيط اللعين مرة أخرى... أعدك بهذا يا أمي...

يصل زين إليه ممتطياً حصانه ونراه قد أصبح شاباً يافعاً يرتدي لباس الفرسان، يترجل عن ظهر حصانه...ويسرع إليه.

زين : أبي...أبي.

يلتفت علاء نحوه مذهولاً فيراه قد أصبح شاباً بل فارساً.

زين : عرفت أنك هنا....

علاء : هاه... زين ؟

زين : أنا ذاهب للحرب يا أبي.. جيوش العدو أغارت على القرى المجاورة وهم في طريقهم إلينا.

ينهض علاء.

علاء : ماذا تقول ؟

زين : أعلن السلطان النفير العام والالتحاق بجيش المدينة.

يمسك علاء بذراعي زين ويشد عليهما بخوف.

علاء : هل ستذهب إلى الحرب؟!

زين : نعم يا أبت ولكني جئت الآن لوداعك..

علاء يرتجف غير مصدق ما يحدث.

علاء : لا... لا تذهب الآن... دعني أفكر بما يمكن أن نفعله سوية...

زين : لكن يا أبي...

علاء : عد بي إلى البيت... اسرع... أرجوك

زين يستجيب لطلبه ويسرع الأب ليصعد الحصان ويلحق به زين.





أمام المنزل وقف جنديان صديقان لزين يرتديان لباس الحرب ينتظرانه ونرى تيماء التي أصبحت صبية جميلة تقدم لكل منهما قربة ماء.

في غرفة المعيشة نرى زين يودع أمه ويقبل يديها طالباً منها الدعاء والرضا.

زين : رضاك يا أمي...

نور : ليحمك الله ويعدك وصحبك سالمين غانمين بإذنه تعالى..

ينظر زين جهة أبيه الواقف عند باب البيت ذاهلاً يراقب ما يجري.

زين : رضاك يا أبي..

علاء ينظر بعيداً عنه حيث آلمه فراق ولده ووداعه .

زين : أرجوك يا أبي.. امنحني رضاك قبل أن أذهب..

علاء (دون أن ينظر إليه) **: أخشى عليك من الحرب يا بني.. أشعر أن حياتي قصيرة... أريد أن أمضيها وأنتم حولي...**

زين : ما خروجي للحرب إلا لأدافع عن بقائنا معاً وأحمي البلاد من ظلم العدو الغاشم..

يقترب زين من أبيه وينحني ليقبل يده أو يعانقه وهنا تتشنج ملامح علاء حزناً.

ويطرق رأسه مستسلماً، فتقترب نور منهما.

نور : الواجب يدفعنا كي نشد على يده ونشجعه على الذهاب كما فعل رفاقه.

علاء : وهل تعتقدين بأنني جبان ومقصر عن أداء الواجب..؟!

زين : ما عاذ الله يا أبت... كيف يكون ذلك وولدك يذهب للقتال؟

ينظر زين لأمه ثم يهز رأسه أسفاً ويخرج من الغرفة وتتبعه الأم ليبقى علاء وحيداً.

علاء (يهمس في داخله) : **أخشى أن أسحب الخيط فأفقده واستعجل انتصار الأعداء..**

في ذلك الأثناء يتحرك زين إلى حصانه ويمتطيه بشجاعة ورباطة جأش

نور وتيماء تقفان لوداعه مع صديقيه.

تيماء : انتبه لنفسك يا أخي

يبتسم الشاب لها ويربت على كتفها ثم يعلن لرفاقه.

زين : هيا يا رفاق

لكن ثمة مفاجأة تكون حين يخرج علاء بثياب الحرب ويناديه

علاء : زين !... انتظر... أنا آت معكم...

تصهل الخيول.











في أحد المنعطفات الجبلية حيث كانت الطريق أشد وعورة نرى علاء وزين ورفيقيه يتابعون السير هبوطاً باتجاه الأسوار الخارجية للمدينة... ثمة عربة محملة بالأغراض يجرها بغلان راحا يشقان طريقهما بصعوبة من ثقل حمولتهما ونرى رجلاً تشبه ملامحه عبيدة يسوقهما.

علاء يتوقف حين يراه ويتأمله متذكراً ملامحه ويتأكد أنه عبيدة حين يسأله زين.

زين : عمي عبيدة إلى أين أنت ذاهب ؟

عبيدة : إلى الجبل يا زين... (ثم ينظر إلى علاء ويتابع ساخراً)... **فأنا لست رجل معارك مثل أبيك..**

يكمل عبيدة طريقه ويبقى علاء ينظر إليه مشدوهاً وهو يبتعد مع بغليه.

علاء : حقاً أنت عبيدة... جبان منذ عرفتك..

زين يشد لجام حصانه وكأن موقف عبيدة قد زاده حماساً للقتال.

زين : هيا إلى الأعداء..

الجنديان يرددان

الجنديان : هيا...

ينطلقون وتسرع الخيول في العدو فيتحمس علاء ويشد لجام حصانه بإصرار وعزيمة أقوى من السابق ليلحق بهم. نبتعد تدريجياً حتى نراهم يقتربون من مشارف المدينة.

* * *



باب قلعة المدينة يفتح وتنطلق منه الفرسان باتجاه جيش العدو ويبدأ الالتحام بين الجيشين من دون إبراز مشاهد عنف بل مجرد إيحاءات تعبر عن المعركة.

× × ×

في المعركة نرى جيوش الأعداء متقدمة... وتكون المعركة بداية لصالحهم... لكن الأمور تنقلب شيئاً فشيئاً... ونرى زين أشد حماساً ودفاعاً في القتال والمبارزة... أما علاء فيبدو مرتبكاً جداً وهو يتابع تحركات ولده كي لا يغيب عن ناظريه محاولاً حمايته من الخلف....

جيوش الأعداء تبدأ بالتراجع.... يندفع زين ليلحق بثلاثة من جنودهم... علاء يتلفت إلى كل الجهات محاولاً اقتفاء أثر زين...

الجنــود الثلاثة يختفون خلف نتوء صخري حيث أعـدوا كميناً لزين.... علاء يلحق بابنه وما إن يصل إليه حتى يتوقف ويخرج الصندوق السحري...

يفكر قليلاَ وأثناء ذلك يقوم أحد الجنود بضربه على يده وبحركة لاإرادية يقفز صندوق الخيط للأمام ويعلق طرفه برأس السيف فينسحب جزء لا بأس به منه.... وما إن يحدث ذلك حتى يموج كل شيء بالجنود والخيول والمقاتلين ويصبح لون كل شيء ذهبياً... ثم تتلاشى الألوان شيئاً فشيئاً وتعود لطبيعتها...... يستقر كل شيء ويظهر علاء بملامح عجوز حاني الظهر يتكئ على عصاه ويجلس أمام منزل زين.

علاء يجلس أمام عتبة الدار وإلى جانبه عصاه وحوله أحفاده يلعبون معه.

أحدهم طفل يشد له العصا والأخرى طفلة راحت تقفز في حجره والثالث طفل يصعد فوق كتفيه وينزلق بخفة وشقاوة...

الأحفاد : هيه... هيه.. جدي جدي احك لنا عن ذكرياتك... هيا يا جدي..

يظهر زين وقد أصبح رجلاً ممتلئ الجسم

زين : حدثهم يا أبي عن إصابتي في الحرب حين قضيت على جنود العدو الذين حاصروني (يشير بيده إلى جرح على جبينه وهو يضحك).

لكن علاء ينهض من مكانه حيث فقد السيطرة على أعصابه ولم يعد لديه القدرة على استيعاب أو احتمال ما يجري.. فكل ما حوله لا يعلم عنه شيئاً بل فقد تاريخه وذاكرته وحتى هؤلاء الأطفال الذين هم أحفاده يشعر بأنهم غرباء عنه.

يحث الخطى متكئً على عصاه فيناديه الأولاد لكنه يجيبهم وهو يمضي.

علاء : فيما بعد.... فيما بعد... دعوني الآن.

يمشي مبتعدا عنهم.

وتبدأ أغنية بصوت علاء الداخلي.

حيث أصبح أمام مفترق طرق، يقرر الذهاب لبيته القديم...

أغنية تعبر عن الوحدة والضياع والغربة والشوق للماضي ولمكان دافئ يجمع الأحبة ويلملم شملهم... علاء العجوز يسير بصعوبة في الطرقات الجبلية المؤدية إلى داره القديمة.... ويتساقط الثلج ليغطي السفوح الجبلية والأشجار....

نسمع صوت علاء الداخلي يغني:

أيا ترى أين الطريق

لكي نعود من البداية

ونعيش لحظات السعادة والألم

حتى النهاية

قد غاب عنا من نحب

(يرى البقرة والسلحفاة والدجاجات والديك وسمسم ثم يتلاشون جميعاً).

فمن يكون أنيسنا

جفت زهور الياسمين

فما يكون ريحقنا

أين الطريق

أين الطريق

هل ترجع البسمات للوجه الحزين

(يرى عبيدة صغيراً يقفز ويغيظه).

ويغرد النسيان من وجع السنين

يظهر وجه أم علاء شفافاً ترد عليه بصوتها الحنون:

صوت أم علاء: ***أبقيت وحدك مثل غصن يابس يخشى الرياح***

في ظلمة لا تنتهي حتى وإن حل الصباح

يرافق صوت الأم الصوت الداخلي لعلاء:

لا ماض ينعشنا نسير

لا طير يطرب أو يضير

أين الطريق

أين الطريق

نرى دخان المدافئ يتصاعد من مداخن البيوت الريفية...

يصل علاء داره القديمة ويدخلها في نهاية الأغنية ليرى منزله فارغاً مهجوراً.

يتجه إلى الحظيرة التي غطى الثلج مساحة كبيرة منها ....





* * *

يدخل علاء الحظيرة ويتقدم من الحفرة. يجلس عندها ثم يخرج الصندوق من جيبه ويتأمله بحزن شديد يهم ويسحب كومة القش عن فوهة الحفرة فيظهر له السرداب المعتم يحاول أن ينزل إليه بصعوبة ولكن فجأة ينبعث نور بسيط لا يلبث أن يلمع أكثر فأكثر ويتحول إلى وهج كبير يزداد إشعاعاً وتتحول الحفرة إلى ما يشبه فوهة فرن ملتهب تلسع حرارته وجه علاء فيبتعد للخلف خوفاً من أن يفقد بصره وهنا يخرج طائر الباز بلون ذهبي وبعده عجوز الزمن التي تتشكل بصورة رائعة وتنبثق أمامه.

علاء يبقى مذهولاً لهول المنظر.

ما إن تستقر عجوز الزمن أمامه حتى تقترب منه وتعاملها على أنه مازال الطفل الذي التقت به منذ أول مرة.

عجوز الزمن : مرحباً بك يا علاء.

يجيب بذهول

علاء : عجوز الزمن ؟!! كأنك لم تكبري يوماً واحداً منذ رأيتك أول مرة.

عجوز الزمن تضحك بطيبة.

عجوز الزمن: أنا عجوز الزمن فكيف أكبر؟

تعود للضحك وطائر الباز يتخذ مكانه على كتفها.

علاء : كنت آتياً إليك..

عجوز الزمن: لن أدعك تفعل هذا وأنت شيخ كبير السن يا صغيري... لذا آثرت المجيء بنفسي؟.

يجيب علاء باندفاع وحماس.

علاء : ها قد بدأ خيط الزمن يفقد بريقه ولم يبق لي منه إلا سحبة واحدة لأرحل إلى الدار الآخرة....

العجوز : لكنك حققت أمنيتك وكبرت بسرعة.

علاء يقول نادماً

علاء : لم أتحمل الانتظار، أردت أن أمضي بالزمن سريعاَ...... فسبقت عمري....

تضحك العجوز

عجوز الزمن : والآن...؟!!.

علاء : أريد أن أعيد إليك الصندوق .... أفضل قضاء ما تبقى لي من حياتي كما قدر الله لي أن أعيش كسائر البشر. فقد بت أخشى أن يسحب رغماً عني...

يقول عبارته بقهر وتفيض عيناه بالدموع ويضطرب صوته فتتأثر العجوز لأجله وتربت بحنان على كتفه وتأخذ الصندوق من يده.

عجوز الزمن تتنهد : إيه...

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

وفجأة تقوم بحركات بهلوانية في جميع الاتجاهات وكأنها تغزل شيئاً ما...

يعجز علاء عن متابعة حركاتها... يقف مطأطئ الرأس فتصبح أمامه وهي تقهقه بعد أن انتهت من صنع صندوق جديد وتقدمه له.

عجوز الزمن : خذ هذا يا صغيري...

ترمي له بالصندوق فيمسك به .

عجوز الزمن : في هذا الصندوق خيط جديد... عليك أن تسحبه كله مرة واحدة حتى تعود إلى ما كنت عليه قبل دخولك السرداب... هيا شده كي تنطلق إلى الحياة وتعود إلى أمك وأصدقائك الذين تحبهم.

وهنا تنفرج ملامحه وينتفض من مكانه وقد فاض منه السرور.

علاء : حقاً ؟!!

عجوز الزمن : حقاً... لكن تذكر أن تعيش الحياة كما هي... بحلوها ومرها... فهي لا تكون للمرء إلا مرة واحدة...

ينظر علاء إلى الصندوق مشدوهاَ.... وبسرعة يسحب الخيط كله.... وما إن يحدث ذلك حتى يطير طائر الباز ويحمل علاء ويدور به بشكل حلزوني لكن بعكس اتجاه دوران عقارب الساعة الذي كان يحدث في المرات السابقة... ثم يتوقف عن الدوران ويختفي الباز ليصبح علاء واقفاً أمام الحفرة في الحظيرة وكل ما حوله قد عاد كما كان عليه في الماضي.

ونرى السلحفاة قد حلت مكان عجوز الزمن.

يفتح علاء عينيه ليكون المشهد التالي.



* * *

حيث يعود علاء طفلاً وإلى جواره السلحفاة وخلفه بقية حيواناته الذين كانوا ينظرون إليه بنفس تشكيل مشهد دخوله للسرداب تماماً ما يوضح بأن الطفل قد عاد من حلمه ورحلته التخيلية....

صوت السلحفاة يعيده للواقع ويكون صوتها صدى يكرر نفس لفظ جملتها السابقة في مشهد الحظيرة قبل أن يدخل الطفل السرداب.

علاء (   ) : لا لا... لا أريد دخولها... إنها مجرد حفرة لا أكثر...

الحيوانات تتراجع والسلحفاة تبتسم مرتاحة وسمسم يصفق بجناحيه فرحاً.

وهنا نسمع نداء نور التي أتت تركض تحت المطر لتزف إليه خبراً سعيداً وخلفها أم علاء تجري لاهثة.

نور : علاء.. علاء.. أنت هنا والشيخ جابر يسأل عنك..

يلتفت علاء نحوها مذهولاً وهي تدخل إلى الحظيرة متلهفة وبالكاد تتابع كلامها.

نور : الشيخ جابر اختارك لتذهب معه إلى دار العلم في دمشق.. ستتابع الدراسة هناك يا علاء... صدقني هو أرسلني لأخبرك..

علاء : ماذا؟.. أنا ؟!

أم علاء تندفع لتعانقه

أم علاء : بارك الله فيك يا ولدي... كم أنا فخورة بك وبنجاحك...

علاء : حقاً سأذهب إلى دار العلم...

يقفز فرحاً ويمسك يدي نور ويدور بها كعقربي الساعة.

علاء : هيه سأذهب إلى دمشق.. سأذهب إلى دار العلم وأتابع دراستي هناك..

أم علاء تمسح دموع الفرح.

الحيوانات يتجمعون ونرى ردود أفعال الفرح عليهم وربما يعانق بعضهم بعضاً (ربما يتحسس الديك لعناق سمسم لإحدى دجاجاته).

علاء (يصرخ بحماس): **سأذهب إلى دمشق..**

يرقص الطفل ويقفز من شدة فرحه.

* * *

وفوق طريق ممتدة مليئة بالخضرة يمر الباز ويرتفع محلقاً في السماء ليفتح لنا المشهد النهائي حيث عربة يجرها حصانان يسوقهما الشيخ جابر وإلى جانبه علاء.

يسأل علاء : هل ستبقى معي هناك يا شيخي؟

الشيخ جابر: لا يا ولدي بل ستكون هناك في عهدة شيخ المدرسة... وما أنا إلا وسيلتك لتنهج طريق العلم التي قد تطول بك حتى تحقق غايتك في الحياة.

علاء (يستفسر عن الزمن وقد رجع لعادته) : **وكم تحتاج طريق العلم من الزمن حتى أقطعها؟**

الشيخ جابر : ستمضي بها ما دمت راغباً في تحصيل ضروب المعرفة وشديد الصبر على انقضاء زمنك بما هو مفيد ونافع للآخرين... هل فهمت ما أعنيه يا علاء؟

علاء : نعم فهمت يا شيخي سأجتهد لأحقق ما أريد وأصل إلى غايتي ولن أتذمر مهما طال الطريق.

الشيخ جابر: أحسنت يا بني فالعلم غذاء للعقل والصبر طريق النجاح والحياة رحلة ممتعة بحلوها ومرها، أليس كذلك ؟

علاء : نعم صدقت يا شيخي...

وهنا يظهر علاء كأنه قد فهم سر الحياة وبأنها تمضي كخط يوازي خط الزمن لا تتجاوزه ولا تتقاطع معه بل يمضيان بالإنسان في خطين متوازيين دائماً يوماً بعد يوم مثلما ينسج الثوب خيطاً بعد خيط وغرزة بعد غرزة وأن عليه أن يدرك بأن الحلم فقط يكون من أجل الطموح والأمل ولا يمكن أن يتحقق إلا بالعمل والمثابرة.

تمضي العربة في طريق ممتدة طويلة نحو مدينة دمشق... تحت وهج أشعة الشمس التي تنير الحياة بالأمل. يغيب الباز في الأفق وهو ينحرف يميناً بعكس العربة التي تنحرف يساراً ومع ابتعاد الطائر يظهر كعادته العصفور الصغير سمسم يرفرف بجناحيه فوق رأس علاء.





وتظهر تيترات النهاية بأسماء الفيلم

ما كتب في الصحافة عن الفيلم

خيط الحياة، أول فيلم سوري طويل في مجال سينما الكرتون

كتب الناقد والصحفي : نضال قوشحة

ليس خافياً على أحد أن حركة الإنتاج السينمائي في سورية تعاني من حيث الكم من مشكلات مستعصية، تبدو معها عملية إنتاج أي فيلم جديد مغامرة صعبة في ظل المنافسة المرئية الطاغية للتلفزيون ومزاجه العام الذي فرضه بقوة عصر الفضائيات الذي نعيش فيه. وهذا ما يجعل التوجه نحو أنماط سينمائية جديدة إنتاجياً، ضرباً من التحدي، أو الدخول في متاهات مغامرة كبرى.

ويبدو أن المؤسسة العامة للسينما وشركة TIGER ، قد قررتا فعلاً الدخول في غمار هذه التجربة، ومواجهة هذا التحدي. فكان فيلم خيط الحياة الذي كان ثمرة التعاون بينهما على مدى ما يقارب العام.

سيناريو الفيلم أعدته الكاتبة ديانا فارس. وقد تناولت فيه حكاية شعبية من التراث العالمي (الألماني). هذه الحكاية رغم بساطتها تحمل معاني فلسفية عميقة. فهي تتحدث عن مفهوم الزمن زمن الحياة والعمر وكيف ينضج الإنسان وتعلمه الحياة الخبرة والمعرفة.

ديانا فارس الكاتبة. لم تعالج الفكرة بالأسلوب التقليدي الذي يتعاطى مع الأطفال وكأنهم مخلوقات غبية أو عديمة الإدراك. بل أعدت نصاً درامياً متصاعد

الأحداث، ومتنوع الخطوط. وفيه من الخيال ما يمتع الطفل ويشده. فهي استنطقت الأشياء والحيوانات المحيطة بشخوص الفيلم. وأعدت من خلال ذلك نصاً روائياً متناغماً وحافلاً بالأحداث. لذلك بقي الفيلم مشوقاً حتى اللحظة الأخيرة فيه.

القيمة الأساسية في هذا الفيلم تتمحور حول شخصية علاء. وهو الطفل الذي لم يتجاوز عمره الثماني سنوات. والذي يعيش مع والدته في قرية جميلة وهادئة. علاء طفل وحيد لأمه التي توفي زوجها شهيداً في معركة ما. وهي تحرص على رعايته وتعليمه كي يكبر ويشبه أباه. فتدفعه لشيخ الكتاب ليعلمه القرآن الكريم مع بقية أقرانه. وهناك يعيش الطفل صراعات مع الأطفال ويواجه بعض المصاعب من تسلط بعضهم عليه. وهذا ما يجعله رافضاً لوضعه وضعفه متمنياً أن يمر الوقت سريعاً لكي يكبر ويصبح رجلاً قوياً. كما النسر الذي يحلق في السماء ويرد عن نفسه وعن أمه الأخطار التي تحيط بهما.

أمنيته تلك كانت تصطدم دائماً بضرورة الانتظار لأنه ما زال صغيراً ويجب أن يكبر رويداً رويداً لكن روحه المغامرة وقلبه المفعم بالحيوية كانا يجعلان من حلمه بتجاوز الزمن هاجساً ملحاً.

وفي لحظة ما وبينا كان يحاور أصدقاءه الحيوانات أسرت له السلحفاة الحكيمة بسر دفين. هذا السر كان يتعلق بأمر يتوق إليه وهو الزمن. تدله السلحفاة على فتحة في الأرض تقود إلى سرداب عميق وتقول له إن بإمكانه النزول إليه فيما لو أراد حلاً لمشكلته. وتحذره من المصاعب التي سيواجهها. فوراً يقبل علاء التحدي ويقفز من خلال الفتحة. ويرافقه عصفوره المحب وبعد مشاق صعبة يصل إلى سيدة عجوز لطيفة اسمها عجوز الزمن التي تهبه صندوقاً صغيراً، فيه خيط يسمى خيط الحياة وكلما سحب هذا الخيط مر زمن من عمره بسرعة.

يأخذ علاء الصندوق ويعود لحياته الطبيعية وكان كلما واجه أمراً هاماً سحب الخيط فقفز العمر به نحو الأمام. وخلال فترة يصبح الطفل يافعاً ثم شاباً، ثم رجلاً مكتمل القوة والنضج يتزوج من جارته نور. فيصير أباً ثم جداً وشيخاً

كبيراً، وفي لحظة يقرر أن يذهب مجدداً لعجوز الزمن لكي يعيد إليها صندوقها وعندما يصل إليها تعطيه الصندوق من جديد وتطلب منه أن يسحب الخيط الذي فيه دفعة واحدة. لكي يعود طفلاً في الثامنة كما كان فيفعل ويعود طفلاً ويرسله شيخ الكتاب لدمشق لمتابعة تعليمه وهنا يقرر أنه لا يريد أن يسبق الزمن. بل سيكبر يوما فيوماً ويتعلم من الحياة.

عند هذه النقطة يقف سير الأحداث وينهي الفيلم مقولته ونكتشف أن كل ما رأيناه كان من مخيلة علاء فقط.

لا شك أن التوجه نحو عالم الأطفال إبداعياً أمر تحفه الخطورة والصعوبة. لما فيه من صعوبات ومحاذير وواضح أن مستوى الفكرة الذهني عال جداً.

وهي فكرة تحمل الكثير من المضامين العميقة التي يمكن أن تؤسس عليها مجموعة من الأعمال السينمائية المناسبة.

الفيلم في هذه التجربة حمل تفرداً ذلك أنه حمل صفة الأول في عدد من الاعتبارات. فهو أول فيلم كرتون سوري روائي طويل. ذلك أن مدته تجاوزت الساعة. فكامل مدة الفيلم هي ثمانون دقيقة. وهو كذلك أول فيلم تكتبه ديانا فارس. وكذلك هو أول فيلم تخرجه للأطفال المسرحية السورية المخرجة رزام حجازي. وهو أول فيلم كرتون تتعاون على إنجازه المؤسسة العامة للسينما وشركة TIGER .

الغناء في الفيلم كان حاضراً. وهو اعتمد أسلوب إنتاجات والت ديزني الشهيرة في هذا الجانب. بحيث صنع استعراضات غنائية عالية المستوى. شخوصها بطل الفيلم ومحيطه من حيوانات وأشياء. راحت تغني وترقص على وقع الموسيقى التي ألفها بشكل موظف سيمون أبو عسلي. وجاءت على الشكل الداعم للعمل بحيث كانت عنصراً مكملاً لأحداث الفيلم، كلمات ولحناً. فكانت بما تحمله من مضامين كلام وثبة للأمام في سيرورة الحدث. فخرجت من كونها مجرد أغنية محشورة في مكان لا تفيد فيه. ولعل خير مثال على هذا أغنية (خيطان خيطان).

موضوع هام آخر لا بد من الإشارة إليه كان موجوداً في الفيلم وهو البيئة ونقصد البيئة المحلية العربية الإسلامية. فالفيلم تحدث عن قرية عربية هادئة جميلة يسكنها أهلها العاملون في الزراعة وتربية المواشي والتي تحمل مكونات أية قرية عربية. ففيها السوق الشعبي بملامحه العربية والملابس المحلية التقليدية وشيخ الكتاب الذي يعلم الأطفال القرآن الكريم.

هذا الموضوع ركز الفيلم عليه وحسناً فعل ذلك أن حجم الإنتاج العالمي في مجالي السينما والتلفزيون بالنسبة للكرتون كبير وهو يتحدث عن بيئات مختلفة في العالم وغالباً ما يحمل العنف في مكوناته. هذا الإنتاج العالمي هو الطاغي على ذهنية أطفالنا في المنطقة العربية لأن مساحة المتابعة التلفزيونية له هائلة. والسبب طبعاً الفضائيات العربية التي لا تمتلك إنتاجاً عربياً محلياً فتلجأ لعرض أعمال عالمية بعد دبلجتها للعربية وهي بذلك تكرس ثقافة الغير بشكل لا يخدم التوجهات الصحيحة لرغباتنا تجاه أطفالنا.

لذلك يبدو أمر توظيف البيئة المحلية في عمل هكذا أمراً جيداً لمحاولته خلق إنتاش في تربة خصبة.

مغامرة إنتاج الفيلم انتهت ولا بد أن المغامرة الأصعب آتية بعدها وهي العرض الجماهيري. بما سيحمله الفيلم من تقبل أو رفض. فالفيلم بما يحمله من معطيات تقنية لا يوازي حتماً الإنتاجات العالمية التي تجذرت أشكالها في ذهنية المشاهد، كنموذج أعلى ولكنه ضمن الواقع الإنتاجي والزمني الذي أنجز فيه يغدو علاقة هامة في تاريخ صناعة هذا النمط الفني في سورية والعالم العربي.

فسورية تمتلك قامات فنية هامة في هذا المجال التي سبق وأن أوجدت لها مكانة فنية مرموقة على المستويين المحلي والعربي. وهذه التجربة تضيف أسماء لطاقات جديدة تدخل على خط الإبداع في هذا الشكل الفني المستجد والضروري في حركة السينما العربية.

بطاقة الفيلم

خيـط الحيـاة

(عن فكرة من التراث العالمي)

بعنوان

الخيط السحري

إنتاج مشترك بين المؤسسة العامة للسينما
وشركة تايغر برودكشن لأفلام الكرتون

فريق المؤسسة العامة للمؤسسة :

الإشراف العام: الأستاذ محمد الأحمد

تأليف السيناريو والحوار: ديانا فارس

الاستشارة الدرامية: سمير ذكرى

مدير الإنتاج: يوسف دك الباب

مشرف على العمليات الفنية: وليد حريب

فريق تايغر برودكشن

المنتج الفني: مناع حجازي

الإخراج: رزام حجازي

الموسيقى التصويرية: سيمون أبو عسلي

إدارة الإنتاج: سامر محايري

ديانا عدنان فارس

- مواليد دمشق.
- **التحصيل العلمي**: ليسانس في الأدب العربي من جامعة دمشق، وحائزة على شهادة إخراج من مركز التدريب الإذاعي والتلفزيوني لاتحاد إذاعات الدول العربية في سورية لعام ٢٠٠٣م، إضافة لمجموعة دورات خاصة بالخدع السينمائية والتلفزيونية.
- **المهنة**: مخرجة وكاتبة ورئيسة دائرة أفلام الأطفال في السينما.
- شاركت في لجان التحكيم في العديد من المهرجانات العربية والدولية.
- كرمت في الجزائر في يوم المرأة العالمي لعام ٢٠٠٩م وحصلت على درع التكريم عن مجمل أعمالها في قطاعي التلفزيون والسينما.
- كلفت بتأسيس وتطوير سينما الرسوم المتحركة الخاصة بالأطفال من خلال كتابة فيلم طويل رسوم متحركة بعنوان (خيط الحياة) الذي حاز على جائزتين الأولى الجائزة الذهبية في مهرجان القاهرة الدولي للأطفال والثانية جائزة التحكيم الدولية في عام ٢٠٠٧م وجائزة الإبداع الذهبية لأفضل سيناريو في مهرجان القاهرة للإعلام العربي الثالث عشر ٢٠٠٧م، كما شارك في مهرجان لندن السينمائي.

كما كتبت السيناريو الأدبي لفيلم (رحلة اليمام الماسي) إضافة لسيناريو فيلم روائي طويل بعنوان (عرائس السكر) خاص بالأطفال المصابين بمتلازمة داون سيندروم من إخراج سهير سرميني.

كتبت في الدراما التلفزيونية:

- مسلسل (قلب دافئ) إخراج فهد ميري.
- حكايا المرايا.

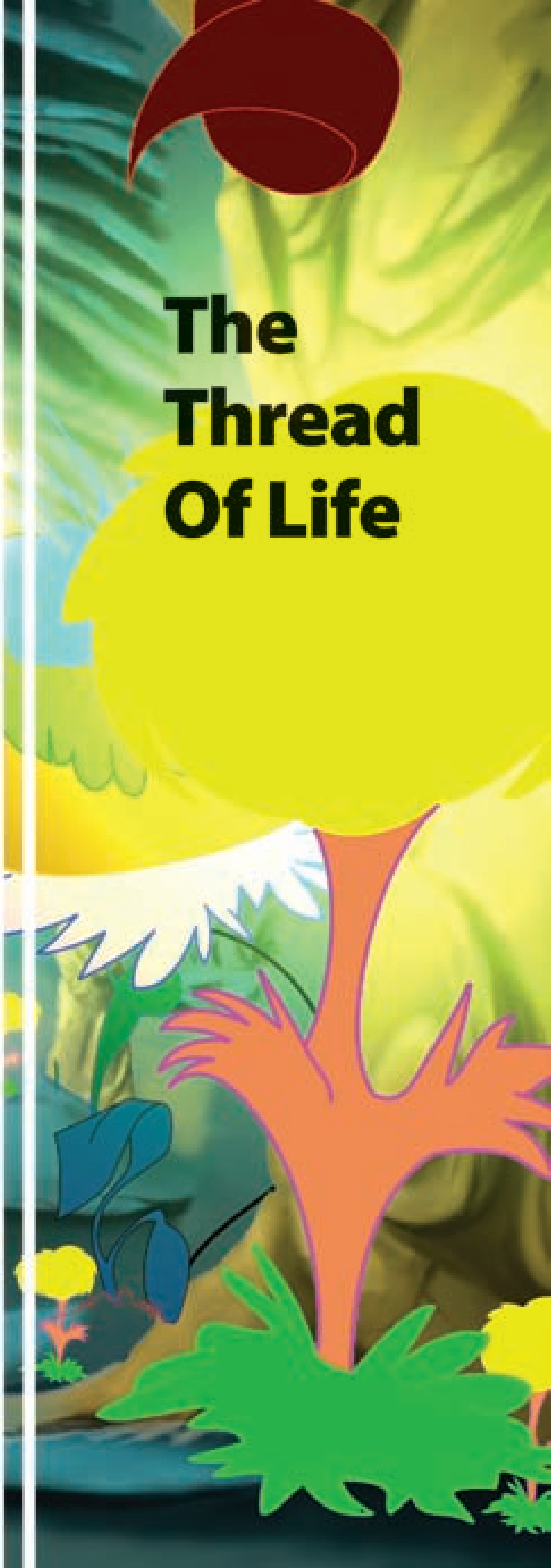
- مسلسل (امرأة في الظل) إخراج أسامة شقير.
- برنامج درامي بعنوان (ثغرات) يتضمن لوحات درامية عن معاناة المرأة وهمومها.
- مسلسل خبز ولمح، وقد حاز الجائزة الذهبية لأفضل إنتاج في دورة تكريم الأعمال الدرامية في سورية.
- سهرة تلفزيونية بعنوان (شغف).
- فيلم تلفزيوني بعنوان (لكل ليلاه) إخراج سهير سرميني.

ساهمت في تنفيذ عدد من أفلام السينما منها:

- فيلم آه يا بحر، إنتاج المؤسسة العامة للسينما ١٩٩٣م – سكريبت ومساعد مخرج أول.
- فيلم صعود المطر، إنتاج المؤسسة العامة للسينما ١٩٩٤م – سكريبت ومساعد مخرج أول.
- فيلم رؤى حالمة، إنتاج المؤسسة العامة للسينما ٢٠٠٣م – مساعد مخرج أول.
- فيلم سينمائي طويل وثائقي بعنوان (نساء عربيات) ٢٠٠٦م – مخرج منفذ.
- فيلم موت حياة، إنتاج المؤسسة العامة للسينما ٢٠٠٦م.
- **أخرجت العديد من الأغاني الوطنية عن أطفال فلسطين إضافة لأربعين فاصل في كل منها رسائل توعوية خاصة بقضايا العنف ضد المرأة والصحة الإنجابية وأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة وقضايا السكان لجهة وزارة الإعلام وصندوق السكان.**

الطبعة الأولى / ٢٠١٣م

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة



www.syrbook.gov.sy
E-mail: syrbook.dg@gmail.com
هاتف: ٢٣٢١١٦٤
مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٣م

سعر النسخة ٣٨٠ ل.س أو ما يعادلها